ما يعتقد أنّ فيه ربحاً له وأنّه يعود بالنّفع عليه ، كما أنّ المنافقين آثروا الكفر على الإيمان وفضّلوا الظّلام على النور . وإنّ القول : ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ ينفى الرّبح . فهل سلم رأس المال ؟ إنّ رأس المال الّذى دفعه المنافقون هو الهداية الّتى كانت منهم قاب قوسين أو أدنى فآثروا الضّلالة عليها . وإلى ذهاب رأس مال المنافقين أشار القول : ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ والآية الكريمة يختم بها مجموعةٌ من صفات المنافقين .

وفى الآيتين الكريمتين التّاليتين السّابعة عشرة والثّامنة عشرة مثلٌ نارىّ يليه فى آيتين كريمتين أخريين مثلٌ مائىٌّ . وهذه هى أولى آيتى المثل النّارىّ . قال تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الّذى استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلماتٍ لا يبصرون ﴾ والآية الكريمة تجعل مثل الّذين اشتروا الضّلالة بالهدى كمثل الذى استوقد ناراً لذاته ولرفاقه فلمّا أضاءت ما حول المستوقد ، ويلاحظ استعمال جملة أضاء دليلاً على شدّة الضّوء النّابع من مصدره ، ذهب الله بنورهم ، ويلاحظ استعمال لفظ النّور ، دليلاً على ذهاب الضّوء من ناحية لأنّ فى ذهاب النّور البعيد من منبعه ذهاباً للضّوء أصل النّور ، وعلى بقاء إحراق النّار والدّخان من ناحيةٍ أخرى ، وفى القول : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ الّذى جاء فى هذه الصّورة وليس فى مثل القول : « ذهب نورهم » ، دليلٌ على تخلّى الله سبحانه وتعالى عن المنافقين وانقطاع المعيّة الّتى خصّ بها جلّ وعلا أولياءه فى مثل قوله عزّ من قائل : ﴿ إنّ الله مع الّذين اتّقوا والّذين هم محسنون ﴾ وكانت عاقبة المنافقين أن تركهم الله سبحانه وتعالى فى ظلمات ، هكذا فى صيغة الجمع ، لا يبصرون طريقاً ولا يهتدون سبيلاً فى سبيل العودة فضلاً عن مواصلة السّير .

وفى الآية الكريمة : ﴿ صمّ بكمّ عمىٌ فهم لا يرجعون ﴾ الّتى يتمّ بها المثل النّارىّ تنبيه إلى ذهاب النّور الدّاخلىّ نور الإسلام الّذى تظاهر به المنافقون بعد أن نبّهت الآية الكريمة السّابقة إلى ذهاب النّور الخارجىّ ، وتعميقٌ للمعنى الّذى نبّهت عليه الآية الكريمة السّابقة وذلك عن طريق إثبات العمى الدّاخلىّ هذه المرّة . وهذا النّوع الرّهيب من عمى البصيرة وليد تعطيل عددٍ من الجوارح عن عملها الصّحيح وتعاونها الذّميم على العمل القبيح . وقد رتّبت الجوارح المعطّلة وفق نسقٍ لطيف . إنّ الواحد من هؤلاء بمنزلة

من ولد أصمّ لا يسمع ، والمراد هنا أنّه لا يسمع صوت الحقّ سماع تدبّر ، أبكم لا ينطق ، والمراد أنّه لا يسمع القول فيتّبع أحسنه ، أعمى لا يبصر ، والمراد أنّه أعمى البصيرة والعياذ بالله . وإنّ القول : ﴿ فهم لا يرجعون ﴾ تتميمٌ للمعانى السّابقة وتتويج . ففى مجال المحسوسات لا يستطيع من كان هذه حاله أن يعود من ذات الطّريق الّذى أقبل منه فكيف بالاستمرار فى السّير بطريقٍ غير معروف . وفى مجال المعنويّات ثمّة إشعارٌ بأنّه لا أمل فى صلاح المنافقين وعودتهم إلى الصّراط المستقيم .

وفى أولى آيتى المثل المائىّ : ﴿ أو كصيّبٍ من السّماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصّواعق حذر الموت ، والله محيطٌ بالكافرين ﴾ جاء تنكير لفظ صيّب كما نكّرت النّار فى التّمثيل الأوّل لأنه أريد هنا نوعٌ من المطر شديدٌ هائل . وجاء ﴿ ظلماتٌ ورعدٌ وبرق ﴾ منكّرات لأنّ المراد أنواعٌ منها كأنّه قيل فيه ظلماتٌ داجية ، ورعدٌ قاصف ، وبرقٌ خاطف . وبالنّظر إلى ظاهر المثل يتبيّن بشأن الظّلمات والرّعد والبرق والصّواعق ترتيب العناصر وفق كثرتها وشمولها . ودليلاً على شدةّ الخوف من الصّواعق هم يضعون أصابعهم فى آذانهم وليس الأنامل وحدها لو تسنّى لهم ذلك ، دفعاً للموت . وفى القول : ﴿ والله محيطٌ بالكافرين ﴾ تقريرٌ لقدرة الله تعالى المحيطة بهم ، فهم لا يفوتونه جلّ وعلا أبدا . وبالنّظر إلى باطن المثل يتبيّن نزول آى الذّكر الحكيم على المنافقين نزول المطر الشّديد على غير المحبّين له وغير المستعدّين لنزوله ، لذا اقترن بنزول القرآن الكريم تهييج الظّلمات فى نفوس المنافقين وإثارة الأباطيل والشّكوك ، كما نزلت قوارع زواجر القرآن الكريم منزلة الرّعد ، ونور تعاليم آيات القرآن الكريم منزلة البرق ، فهم يرون نور الإسلام من القوّة للدّرجة الّتى تكاد تخطف أبصارهم . أمّا الصّواعق فى حقّ المنافقين لذا هم يجعلون أصابعهم فى آذانهم فإنّها تتابع الأوامر والنّواهى والتّكاليف فى حقّهم واشتداد قوارع الزّواجر المتتالية ، والتّهديد المباشر لهم ، والكشف عن عوراتهم ، والفضح لسوءاتهم ، والتّحذير الصّريح لهم ، والإنذار بسوء المصير فى الأولى والآخرة ، والعجيب فى أمر هؤلاء المنافقين أنّهم يعتبرون الإسلام موتاً فى حقّهم والكفر حياةً لذا هم يفرون بسبب عمى البصيرة من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر ، ولكنّ الله

سبحانه وتعالى لهم بالمرصاد ومحيطٌ بالكافرين .

وفى آية المثل المائىّ الثّانية : ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم كلّما أضاء لهم مشَوْا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا . ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم . إنّ الله على كلّ شىءٍ قدير ﴾ يصحّ أن تكون ذات شقّين اثنين ، ظاهرٍ وباطن ، وذلك على غرار الآية الكريمة السّابقة . وبالنّظر إلى ظاهر المثل يتبيّن أنّ الحديث يتّجه إلى العين بأكثر من الأذن بعد أن كان فى الآية الكريمة السّابقة شركةً بين العين والأذن وكان حظّ الأذن هنالك هو الأكبر . إنّ البرق يكاد يخطف أبصار القوم ، ومع ذلك هم مضطرّون لفتح أعينهم والاستفادة من ضوئه عدد مّرات برقه ، لذا جاءت كلّما الدّالّة على حرص القوم على البرق رغم خوفهم على أعينهم منه بينما جاءت إذا مع اختفاء لمعان البرق ومجىء الظّلام واضطرارهم للتوقّف والتّحبُّس . وعلى غرار التّقديم الغالب فى القرآن الكريم للأذن على العين يجىء القول : ﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ﴾ والمعنى لو شاء الله سبحانه لذهب بسمعهم عن طريق الصّواعق ، وببصرهم عن طريق البرق ، ﴿ إنّ الله على كل شىءٍ قدير ﴾ ولكنّ رحمة الله سبحانه وتعالى واسعة . وبالنّظر إلى باطن المثل وبالمقارنة بين المثل المائىّ من ناحية والنّارىّ من ناحيةٍ أخرى يتبيّن أنّنا بصدد فريقين من المنافقين يصوّر كلٌّ من المثلين طبيعة كلّ منهما . وفى انطفاء النّار وهى خارجيّةٌ دليلٌ على أنّ هذا الفريق من المنافقين أشدّ المنافقين سوءاً فهم قد عادوا إلى ظلماتهم السّابقة وهم لا يرجعون عنها . وفى المثل الثّانى المائىّ يحلّ البرق محلّ النّار . وإذا كانت النّار قد انطفأت دفعةً واحدةً وإلى الأبد فإنّ من سمات البرق الإضاءة المتتابعة والإظلام . وعليه يكون ضوء البرق بمنزلة نور هداية القرآن الكريم . وبذلك يتبيّن أنّ هذا الفريق من المنافقين أقلّ من المنافقين السّابقين سوءاً لانتفاعهم المحدود الفينة بعد الفينة من نور تعاليم الإسلام اضطرارًا إن لم يكن اختياراً . إنّ المنافقين هنا لا يستغنون عن نور الإسلام لذا هم يستعينون به استعانة أصحاب الصّيّب بالبرق . بل إنّ كلاً من الفريقين مستعدٌّ للتّرحيب بالنّور الّذى يهتدى به حسّيّاً أو معنويّاً . وإنّ المنافقين يعتبرون التّحوّل من الكفر إلى الإسلام موتاً ، إذاً هم يستفيدون من تعاليم الإسلام فى حدود الضّرورة وبمقدار ما يحقّق

مصالحهم . ولفظة « كلّما » هنا تدلّ على حرص المنافقين على الانتفاع الشّخصىّ من نور هدى القرآن الكريم ، وإنّ نفوسهم المظلمة وانسداد كلّ المنافذ الّتى يمكن أن يمرّ خلالها صوت الحقّ أو نور الهداية يجعلهم حيارى حيرة الّذين أظلم عليهم البرق . إنّهم لا يستطيعون مواصلة السّير كى يلحقوا بركب المؤمنين فى النّور المبين ، ولا يستطيعون أن يعودوا أدراجهم حيث المنافقون الخالصو النّفاق ، لأنّهم قد ذاقوا شيئاً من حلاوة الإيمان واهتدوا بشىءٍ من نور الإسلام . وإذا كان حديث الآية الكريمة عن إضاءة البرق وإظلامه يشمل بدرجةٍ كبيرةٍ الظّلمات الخارجيّة وبدرجةٍ أقلّ الدّاخليّة ، وهذه الظّلمات الدّاخليّة يشملها القول : ﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ﴾ والمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى لم يشاء ذلك رحمةً منه جلّ وعلا بهم . قارن هذا بالقول فى المثل النّارىّ : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ ممّا هو دليلٌ على أنّنا فى المثل المائىّ بصدد منافقين يقلّون سوءاً عن منافقى المثل النّارىّ ولا ننسى أنّ النّار فى المثل قد طفئت بسببٍ سماوىّ ويصحّ أن تكون وسيلة ذلك فى الغالب الماء . وهكذا نستطيع أن نتبيّن نوعاً من علاقةٍ بين المثلين النّارىّ والمائىّ . وربّما صحّ دليلاً على أنّ الفريق الأوّل أشدّ المنافقين نفاقاً كون مصدر نورهم بشريّاً بينما مصدر النّور بشأن الفريق الآخر الأقلّ نفاقاً سماوىّ .

ويأتى القسم التّالى وعنوانه : « توحيد الله تعالى والتّحدّى بالقرآن » ويتألف من سبع آيات كريمات (الآيات ٢١ — ٢٧) .

وفى الآية الكريمة : ﴿ يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم الّذى خلقكم والّذين من قبلكم لعلّكم تتّقون ﴾ يتمّ التحوّل إلى مخاطبة كلّ النّاس . وهؤلاء النّاس يتألفون من الفئات الثّلاث الّتى تحدّث عنها السّياق من ذى قبل وهم المؤمنون والكافرون والمنافقون . أمّا محور خطاب النّاس فإنّه القضيّة المشتركة الّتى تهمّهم جميعاً وهى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، الّذى خلقهم وخلق الّذين من قبلهم . والآية الكريمة تحثّ النّاس على الارتقاء إلى مرتبة التّقوى الّتى اتّصف بها المؤمنون فى أوّل السّورة الكريمة ، وهذا من مظاهر التّرابط بين أجزاء السّورة الكريمة .

وفى الآية الكريمة التّالية : ﴿ الّذى جعل لكم الأرض فِراشاً والسّماء بناءً وأنزل من السّماء ماءً فأخرج به من الثّمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ تتميمٌ للمعنى فى الآية الكريمة السّابقة ، فإذا كان ثمّة أمرٌ بعبادة الله تعالى وهو الهدف الّذى خلق الإنسان من أجله وكان ثمة جملة خلق فى القول : « خلقكم » فإنّ فى الآية الكريمة التّالية جملة جعل الّتى تشير إلى مرحلةٍ تاليةٍ للخلق وهى مرحلة التّصيير وجعل المخلوق مهيّئاً للقيام خير قيامٍ بالهدف الّذى خلق من أجله . إنّ الأرض قد خلقت ابتداءً فى يومين اثنين دون دحو ودون تهيئةٍ لسُكنى الإنسان . وجعلت فى يومين اثنين آخرين صالحةً لسُكنى الإنسان . وإلى هذه المرحلة التّالية أشارت الآية الكريمة الّتى نحن بصددها . فالله سبحانه وتعالى جعل لنا الأرض فراشاً وجعل السّماء بناءً وأنزل من السّماء ماءً فأخرج به من الثّمرات رزقاً لنا . وقد جاءت الإشارة إلى البناء بشأن السّماء لأنّ عمليّة خلقها احتاجت يومين اثنين فقط . وإنّ عجز الآية الكريمة الّذى يأمر بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له قوّةٌ للآية الكريمة السّابقة .

وفى الآية الكريمة التّالية : ﴿ وإن كنتم فى ريبٍ ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ تحدٍّ لكفار مكّة ومن لفّ لفّهم أن يأتوا بسورة مثل أقصر سور القرآن الكريم الّذى أنزله الله تعالى على عبده محمّد ﷺ . ويلاحظ أنّ صفة العبوديّة تطلق على المصطفى ﷺ المنعم عليه بنزول القرآن الكريم ، ويلاحظ أنّ لفظ العبد فى القول : « عبدنا » مضافٌ إلى نون العظمة العائدة على الذّات العليّة ، دليلاً على رفيع منزلته عند بارئه جلّ وعلا . وامتدادًا للتّحدّى تأمر الآية الكريمة الّذين هم فى ريبٍ من القرآن حينما يحاولون الإتيان بمثل سورةٍ من القرآن الكريم أن يدعوا شهداء هم الّذين يتعاطفون معهم ويتعاونون من آلهة يدعون من دون الله وغير آلهة ، بأن يكونوا شهداء على ما يأتون به ، كى تكون الحجّة عليكم بالغة والبيّنة دامغة ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ فى زعمكم القدرة على شيءٍ من ذلك .

وفى الآية الكريمة التّالية تتمّةٌ للتّحدّى . قال تعالى : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتّقوا النّار الّتى وقودها النّاس والحجارة أعدّت للكافرين ﴾ . وأنّ القول : ﴿ فإن لم تفعلوا ﴾

ينسحب على الماضى والحاضر . وإنّ القول : ﴿ ولن تفعلوا ﴾ ينسحب على المستقبل وإلى أن يرث عزّ وجلّ الأرض ومن عليها . وقد بيّنّا أهمّ الأسباب الّتى تجعل من عجز قبيلة قريش عن قبول التّحدّى ، وهى الّتى أتيح لها من الأسباب المختلفة ، ومنها اللّغويّة ، ما لم يتح لغيرها ، عجزاً للإنسانيّة عن قبول التّحدّى القرآنىّ إلى أن يقوم النّاس لربّ العالمين . إنّ على الإنسانيّة ابتداءً بقبيلة قريش الجماعة النّموذجيّة لإتقان اللّغة بالسّليقة خلال العصور أن تكفّ عن العناد وأن تعود إلى جادّة الصّواب وأن تتقى النّار الّتى وقودها النّاس والحجارة ابتداءً بالأصنام الّتى يودّها الكافرون فهم جميعاً حَصَبُ جهنّم ووقودها ، وقد أعدّها الله تعالى من أجلهم .

وفى الآية الكريمة التّالية تحوّل للفريق المقابل ، للمؤمنين الّذين يعملون الصّالحات فيبشّرون بالمسكن البهىّ ، والمطعم الشّهىّ ، والمنكح الوضىّ . قال تعالى : ﴿ وبشّر الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أنّ لهم جنّاتٍ تجرى من تحتها الأنهار كلّما رُزقوا منها من ثمرةٍ رزقاً قالوا هذا الّذى رُزقنا من قبل وأُتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواجٌ مطهّرةٌ وهم فيها خالدون ﴾ إنّ الإيمان بحاجةٍ إلى الدّليل على صدقه وهو عمل الصّالحات لذا جمعت الآية الكريمة بينهما . وإنّ الجنّات يقترن بها عمادها وهو الماء الّذى يتدفّق فى الجنّات أنهارا . وإنّ كلّ ما تشتهيه الأنفس من رزق حاضرٌ فى كلّ وقت ، وحينما يأتيهم الرّزق متشابهاً شكلاً يكون مختلفاً لوناً ورائحةً وطعما . ويتوّج ذلك النّعيم بتمامه ، بالزّوجة سكن الزّوج وحِبّه . والزّوجة ثمّة مطهّرة من ضرورات أذى الدّنيا وقذاها . إنّ ذلك النّعيم مقيم لأنّهم فى الجنّة الّتى تلك صفاتها خالدون .

أما وقد ضربت السّورة الكريمة من ذى قبل مثلاً ناريّاً ومثلاً آخر مائيّاً وكان ثمّة من المنافقين إنكارٌ أن يضرب الله تعالى مثلاً بالمستوقد والصّيّب ، وكان منهم ومن الكافرين واليهود إنكارٌ كذلك أن يضرب الله تعالى مثلاً فى غير هذه السّورة بالذّباب والعنكبوت ، فقد كان فى الآية الكريمة التّالية حديثٌ عن ضرب الأمثال وموقف المؤمنين والكافرين منها . قال تعالى : ﴿ إن الله لا يستحيى أن يضرب مثلاً مّا بعوضةً فما فوقها . فأمّا الّذين آمنوا فيعلمون أنّه الحقّ من ربّهم وأمّا الّذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً . يُضِلّ

به كثيراً ويَهدى به كثيراً وما يضلّ به إلاّ الفاسقين ﴾ والآية الكريمة تبيّن أنّ الله سبحانه وتعالى لا يستنكف أن يضرب مثلاً مّا بعوضةً فما فوقها فى الحجم وضخامة الشّأن لأن الله سبحانه وتعالى هو وحده جلّ وعلا لا شريك له الّذى يستطيع أن يخلق البعوضة . وإعجاز المثل فى تقريبه المرامى القصيّة وجعله المعنى المتوهمّ فى حكم المدرك بالحواسّ . وتبيّن الآية الكريمة قبول المؤمنين المهتدين لهذه الأمثال القرآنيّة ، ورفض الكافرين الفاسقين ، الّذين زادهم الله تعالى عمىً إلى عمى بصائرهم ، لهذه الأمثال ، وذلك امتدادٌ لرفضهم القرآن الكريم جملةً وتفصيلا .

والآية الكريمة التّالية تبيّن بعض صفات هؤلاء الفاسقين . قال تعالى : ﴿ الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض . أولئك هم الخاسرون ﴾ إنّهم بسبب فسقهم واتّصافهم بهذه الصّفات السّيّئة أصبحوا من الخاسرين . وفى الآية الكريمة ثلاث صفات تتّسم بتدرّجٍ عجيب بحيث إنّ الصّفة التّالية تتضمّن الصّفة الأولى أو السّابقة وتضيف الجديد دائماً .

ويأتى القسم التّالى وعنوانه : ﴿ الخلق والبعث والجزاء ﴾ ويتألّف من اثنتى عشرة آية (٢٨ ـــ ٣٩) .

والآية الكريمة : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم ثمّ إليه ترجعون ﴾ تنكر فى أسلوب الاستفهام على الكافرين أن يتلبّسوا بالكفر وقد علموا أنّهم بقدرة الله تعالى كانوا أمواتاً فى الأصلاب فأحياءً فى الأرحام وفى الحياة الأولى وأنّ الله سبحانه وتعالى سوف يميتهم ثمّ يحييهم لفصل الحساب ثمّ إليه يرجعون فيثيبهم جلّ وعلا أو يعاقبهم . ويلاحظ العطف بالفاء دليلاً على التّرتيب مع التّعقيب وبـ « ثمّ » دليلاً على التّراخى . وإذا كانت الآية الكريمة قد جعلت من أنفس المخاطبين دليلاً على وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة ، فإنّ الآية الكريمة التّالية جعلت ممّا يشاهدونه من خلق السّماوات والأرض دليلاً آخر . قال تعالى : ﴿ هو الّذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثمّ استوى إلى السّماء فسوّاهنّ سبع سماواتٍ وهو بكلّ شىءٍ عليم ﴾ وفى الآيتين الكريمتين التفاتٌ من الغائبين إلى المخاطبين أى إلى حالةٍ للضّمير أقوى ، إذ المخاطب أقوى من

الغائب . ولا تستغنى الآية الكريمة عن القول : « لكم » إشعاراً بكرامة المخاطبين . وتحوّلاً من الصّغير إلى الكبير القريب إلى البعيد تذكر الأرض أوّلاً السّماوات آخراً ﴿ وهو بكلّ شيء عليم ﴾ إنّ الله تعالى لا يخفى عليه شيءٌ فى الأرض ولا فى السّماء .

وفى الآية الكريمة التّالية يتحول الحديث إلى المصطفى ﷺ فى هيئة الخطاب . قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربّك للملائكة إنّى جاعلٌ فى الأرض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال إنّى أعلم ما لا تعلمون ﴾ وفى توجيه الخطاب إلى المصطفى ﷺ وفى استعمال لفظ الرّبّ دليلٌ على منزلته عليه الصّلاة والسّلام عند بارئه لأنّ لفظ الرّب يستعمل فى القرآن الكريم فى مواقف الخصوص والبشر والحبور والتّنبيه إلى تربيته جلّ وعلا عباده بآلائه ووجوب القيام بشكو المنعم . إنّ ربّ العزّة يخبر حبيبه المصطفى ﷺ بأنّه قال للملائكة بأنّه جاعلٌ فى الأرض خليفة هو آدم عليه السّلام . ولمّا كان المقصود من الخليفة الإصلاح وترك الفساد فإنّ الملائكة لمّا سمعوا لفظ خليفة فهموا أنّ فى بنى آدم من يفسد ، ولكنّهم عمّموا ، فكان فى قول ربّ العزّة لهم : ﴿ إنّى أعلم ما لا تعلمون ﴾ تنبيهٌ إلى أنّ فى ذرّيّة هذا الخليفة مرسلين ونبيّين وصدّيقين وشهداء وصالحين . وبهذا يتبيّن أنّ حديث الملائكة عن الإفساد فى الأرض وسفك الدّماء ذو علاقةٍ بعالم الغيب الّذى ليس لهم أن يبلغوه دون تعليم الله تعالى لهم .

والآية الكريمة التّالية ذات علاقةٍ بعالم الغيبِ هذا فى حقّ الملائكة . قال تعالى : ﴿ وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ لقد علم الله سبحانه وتعالى آدم عليه السّلام أسماء المسمّيات كلّها ، جليلها وحقيرها ، وبيّن له منفعة كلّ جنس ، ثمّ عرض جلّ وعلا المسمّيات على الملائكة وأمرهم أمر تعجيز بأن ينبئوه جلّ وعلا بأسماء تلك المسمّيات إن كانوا صادقين أنّ بنى آدم يفسدون فى الأرض ويسفكون الدّماء . إنّ الملائكة الّتى لا تعلم إلاّ ما علّمها الله تعالى ، ومن ذلك الّذى لا تعلمه أسماء المسمّيات ، تنزّهه جلّ وعلا فى الآية الكريمة التّالية تنزيهاً وتبرّئه تعالى إنّها لا تعلم شيئاً غير الّذى علّمها الله تعالى إيّاه . قال تعالى : ﴿ قالوا

سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم ﴾ وفى التّوطئة بتنزيه الله تعالى ضربٌ من الاعتذار عمّا بدر من الملائكة من جوابٍ فهم منه ادّعاؤهم فضل علمٍ بشأن الخليفة فى الأرض . إنّ هذا التّلميح يتلوه اعترافٌ بعدم العلم صريح . وفى المقابل الله تعالى وحده لا شريك له هو العليم الحكيم .

وفى الآية التّالية يبدو فضل العالم على العابد وفضل العلم على العبادة . قال تعالى : ﴿ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلمّا أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنّى أعلم غيب السّماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ وتقرّر الآية الكريمة العلم المطلق للذّات العليّة فالله سبحانه وتعالى يعلم غيب السّماوات والأرض ويعلم ما يبدى الملائكة وما كانوا يكتمون ممّا هجس فى أنفسهم فلم يظهره بعضهم لبعضٍ ولا أطلعه عليه .

وفى الآية الكريمة التّالية يتمّ التّحوّل من ضمير المفرد الغائب العائد للذّات العليّة والالتفات إلى ضمير جماعة المتكلّمين تنبيهاً على عظمة الذّات العليّة ذات الصّفات الحميدة العديدة . قال تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ إنّ ربّ العزّة يأمر الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السّلام سجود تحيّةٍ وتكريم فيمتثلون أوامر الله تعالى باستثناء إبليس عليه لعنة الله ، فقد أبى أن يسجد واستكبر وكان من الكافرين المستحقّين لعنة الله تعالى والملائكة والنّاس أجمعين . وهكذا تجسّد فى إبليس اللّعين أوّل الأدواء وأكبرها أو وهو داء الكبر والحسد ، ولهذا عصى سبحانه وتعالى . والمعروف أنّ المعصية حينما تكون بباعث الكبر والحسد فلا أمل فى صلاح صاحبها . ولهذا استحقّ اللّعين أن يطرد من الجنّة . وبعد إخراج اللّعين قال ربّ العزّة لآدم عليه السّلام ما بيّنته الآية الكريمة التّالية . قال تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشّجرة فتكونا من الظّالمين ﴾ .

بعد أن طُرِد اللّعين من الجنّة أصبح آدم عليه السّلام وحيداً فأكرمه الله سبحانه وتعالى بزوجه حوّاء الّتى خلقها جلّ وعلا من ضِلَعِه وقال جل وعلا لهما اسكنا الجنّة وكلا منها

أكلاً كثيراً لا عناء فيه . كما نهاهما ربّهما جلّ وعلا عن مجرّد الاقتراب من شجرةٍ بعينها فضلاً عن الأكل منها ، وإلاّ كانا من الظّالمين . وقد استطاع اللّعين أن يغرّر بهما بأن يأكلا من الشّجرة الّتى نهاهما ربّهما عن الأكل منها ، وإلى ذلك أشارت الآية الكريمة التّالية . قال تعالى : ﴿ فأزلّهما الشّيطان عنها فأخرجهما ممّا كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدوّ ولكم فى الأرض مستقرٌّ ومتاعٌ إلى حين ﴾ ويلاحظ أنّه ليس ثمّة التّأنيس بالنّداء الّذى تبيّنّاه عند الأمر بسُكنى الجنّة لأنّنا بصدد عصيانٍ لأمر الله تعالى وطاعةٍ للشّيطان الرّجيم وخروجٍ من الجنّة لذا كان الأمر مباشراً بالهبوط من الجنّة إلى الأرض الّتى فيها المستقرّ والمتاع إلى حين ﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدوّ ﴾ .

وهكذا خرج آدم وحوّاء عليهما السّلام من الجنّة بعد تمكّنٍ منها بإرادة الله تعالى الّذى شاء أن يجعل من آدم عليه السّلام خليفةً فى الأرض ، وقد أدّت الأسباب الخارجيّة الّتى تمثّلت فى إغواء الشّيطان الرّجيم ، والأسباب الدّاخليّة الّتى تمثّلت فى رغبة آدم عليه السّلام ، الممثّل لجنس الإنسان ، فى الخلود ، ليس ببقاء الاسم فحسب بل وفى بقاء الجسم ، أدّت هذه الأسباب وتلك إلى الخروج من الجنّة والهبوط إلى الأرض . لقد تمّ كلّ ذلك بعلم الله سبحانه وتعالى وإرادته .

وإنّ ربّ العزّة الّذى قدّر على آدم وحوّاء الخروج من الجنّة والهبوط إلى الأرض وقدّر عليهما الأكل من الشّجرة بإغواءٍ من الشّيطان الرّجيم ليرشدهما إلى باب التّوبة المفتوح على مصراعيه دائماً ويلقّنهما كلمات التّوبة ويتفضّل جلّ وعلا بقبول توبتهما . وإلى ذلك أشارت الآية الكريمة التّالية : ﴿ فتلقّى آدم من ربّه كلماتٍ فتاب عليه إنّه هو التّوابُ الرحيم ﴾ أمّا كلمات التّوبة فإنّها الّتى نصّت عليها الآية الكريمة الثّالثة والعشرون من سورة الأعراف . قال تعالى : ﴿ قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ﴾ ويلاحظ ذكر آدم بصريح اللّفظ لأنّ الجوّ عبقٌ بشذا المحبّة والعفو .

ويتكرّر فى الآية الكريمة التّالية الأمر بالهبوط الّذى يقترن به الهدى هذه المرّة بينما اقترن به فى المرّة السّابقة تقرير العداوة بين بنى آدم وبين اللّعين ، واستعمل بشأن الهدى ضمير المفرد العائد للذّات العليّة لأنّ الهدى من جهته جلّ وعلا وحده لا شريك له . قال تعالى :

﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فإمّا يأتينّكم منّى هدًى فمن تبع هداى فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ والآية الكريمة تقرّر أنّ المؤمنين المهتدين لا خوفٌ عليهم فيما يستقبلون من أمور الآخرة ، ولا هم يحزنون على ما فارقوا فى هذه الدّنيا من أهلٍ وولد ، مالٍ وجاه . والآية الكريمة التّالية تبيّن مصير الكافرين المكذّبين . قال تعالى : ﴿ والّذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون ﴾ .

ويأتى القسم التّالى وعنوانه « بنو إسرائيل » ويتألف من الآيات الكريمات الّتى تبدأ بالآية الأربعين وتنتهى بالآية الثّالثة والعشرين بعد المائة .

إنّ الآية الكريمة الأخيرة فى القسم السّابق تتحدّث عن الكافرين المكذّبين وعقابهم الأليم ، والمعروف أنّ بنى إسرائيل فى مجموعهم كافرون بالإسلام وبرسول الإسلام وبمعجزة هذا الدّين ، القرآن الكريم . والآية الكريمة الأولى : ﴿ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأَوْفُوا بعهدى أوفِ بعهدكم وإيّاى فارهبون ﴾ تخاطب بنى إسرائيل ، وإسرائيل معناه عبد الله بالعبرانىّ ، وهو الاسم الآخر ليعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السّلام . وبذلك يثير هذا النّداء بالاسم الحبيب للقوم الرّغبة الخيّرة فى التّأسّى بنبىّ الله تعالى يعقوب عليه السّلام . وتأمر الآية الكريمة بنى إسرائيل أن يذكروا نعمة الله تعالى الّتى أنعمها الله عليهم والّتى لا يأتى عليها الحصر ، ويكون الذّكر باللّسان وبالقلب وبترجمة شعور الرّضا إلى شكر لله تعالى بامتثال الأوامر واجتناب النّواهى . وفى حال وفائهم بعهد الله تعالى بعبادته جلّ وعلا وحده لا شريك له يفى الله سبحانه وتعالى لهم بعهدهم بإدخالهم الجنّة . والآية الكريمة تجمع بين التّرغيب والتّرهيب . وكذلك الآية الكريمة التّالية : ﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدّقاً لما معكم ولا تكونوا أوّل كافرٍ به ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً وإيّاى فاتّقون ﴾ . والآية الكريمة معطوفةٌ على سابقتها ومترتّبةٌ عليها معنويّا . إنّها تأمر بنى إسرائيل بأن يؤمنوا بما أنزل جلّ وعلا على محمّد بن عبد الله ﷺ من قرآنٍ كريم مصدّقٍ لما معهم من التّوراة ، وتنهاهم عن أن يكونوا أوّل كافرٍ بالقرآن الكريم لأن المنتظر منهم ، وهم أهل الكتاب الّذى يجدون فيه نعت النّبىّ الأمّىّ ، أن يكونوا أوّل المؤمنين به ﷺ وبالقرآن الكريم ، كما تنهاهم عن أن يشتروا بآيات الله

تعالى الّتى أوحاها جلّ وعلا لموسى عليه السّلام وهى التوراة ثمنًا قليلا من مالٍ أو جاه أو منصب فإنّ كل ذلك لزواله وعدم بقائه ثمنٌ قليل ، كما تأمرهم بأن يتّقوا الله تعالى ، والتّقوى هى الوجه الآخر للإحسان ، وبذلك يراد لبنى إسرائيل أحسن الصّفات وأرفع النّعوت . والمعروف أنّ بنى إسرائيل تحقّقت فيهم الصّفات السّيّئة كلّها فثبت أنّهم كافرون فعلاً . والآية الكريمة التّالية : ﴿ ولا تلبسوا الحقّ بالباطل وتكتموا الحقّ وأنتم تعلمون ﴾ تنهى بنى إسرائيل عن أن يخلطوا الحقّ بالباطل ويمزجوا البيّن بالمشكل وأن يكتموا الحقّ وهو نعت المصطفى ﷺ الموجود عندهم فى التّوراة والعجيب أنّهم بنصّ القرآن الكريم يعلمون أنّهم يكتمون حقّاً ويعلنون كذباً . والآية الكريمة التّاليـة : ﴿ وأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة واركعوا مع الرّاكعين ﴾ تأمر بنى إسرائيل بأن يقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة باعتبار الصّلاة عماد العبادات البدنيّة والزّكاة عماد العبادات الماليّة وقد جمع القرآن الكريم بين الصّلاة والزّكاة فيما يزيد على الثمانين موضعاً ، كما تأمرهم بأن يركعوا مع الرّاكعين من أمّة محمّد ﷺ أى بأن يتحوّلوا مسلمين لله ربّ العالمين . والمعروف أنّ اليهود لا ركوع فى صلاتهم . والآية الكريمة التّالية : ﴿ أتأمرون النّاس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ تنهى بنى إسرائيل فى أسلوب الاستفهام الإنكارىّ عن أمر الآخرين بالبرّ وذلك بالبقاء على دين الإسلام لأنّه حقّ بينما هم لا يؤمنون ، وبأمر الآخرين بالتّمسّك بتعاليم الكتاب وهم لا يتمسّكون ، فى الوقت الّذى يتلون فيه التّوراة الّتى تنهى عن ذلك النّسيان ولكنّهم قومٌ لا يعقلون . والآية الكريمة التّالية : ﴿ واستعينوا بالصّبر والصّلاة وإنّها لكبيرةٌ إلاّ على الخاشعين ﴾ تجرى مجرى المثل ويصحّ أن يكون المخاطب بها بنى إسرائيل ويصحّ أن يكون المخاطب بها المسلمين الّذين يتّجه إليهم الحديث لأنّهم الثّمرة الحقيقيّة لمنهج التّربية القرآنيّة ويدخل فى هؤلاء المسلمين من اعتنق الإسلام من بنى إسرائيل وسواهم . إنّ فى الآية الكريمة أمراً بالاستعانة بالصّبر لإزالة كلّ مكروه ، وأمراً بالاستعانة بالصّلاة لجلب كلّ محبوب . وتوصف الصّلاة بسبب تتابعها بأنّها ثقيلةٌ إلاّ على الخاشعين . والآيـة الكـريمة التّاليـة تصف هـؤلاء الخاشعين . قال تعالى : ﴿ الّذين يظنون أنّهم ملاقوا ربّهم وأنّهم إليه راجعون ﴾ إنّ

الخاشعين فى صلاتهم موقنون أنّهم ملاقو ربّهم وأنّهم إليه راجعون يوم القيامة للحساب والجزاء . وفى الآية الكريمة التّالية : ﴿ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى الّتى أنعمت عليكم وأنّى فضّلتكم على العالمين ﴾ عودة لنداء بنى إسرائيل لتنبيههم على شكر النّعم . وربّما كان فى تكرير النّداء إيماءٌ إلى بعد الحديث عن بنى إسرائيل وتحوّله إلى المسلمين على نحو ما بيّنّا . وبنو إسرائيل ينادون فى ألطف طريقةٍ وبأحبّ الأسماء إليهم فهم بنو نبىّ الله تعالى يعقوب عليه السّلام ، وتختار الآية الكريمة اسم يعقوب الآخر « إسرائيل » ومعناه عبد الله أو صفوة الله ، كلّ ذلك بقصد حمل بنى إسرائيل على شكر المنعم الّذى فضّلهم على عالمى زمانهم بعبادته جلّ وعلا وحده لا شريك له واتّباع خاتم أنبيائه ورسله محمّد بن عبد الله ﷺ . والآية الكريمة التّالية : ﴿ واتّقوا يوماً لا تجزى نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا يُقْبَل منها شفاعةٌ ولا يؤخذ منها عدلٌ ولا هم يُنْصَرون ﴾ فيها أمرٌ لبنى إسرائيل بأن يتّقوا يوم القيامة الّذى ترتّب متعلّقاته ترتيباً معجزاً فى الآية الكريمة بناءً على ترتيب أهمّيّة تلك المتعلّقات . فأوّل ما ينفى أن تغنى نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ابتداءً بالأب عن ابنه والابن عن أبيه . وفى ضوء العناية بالجاه تُنْفَى الشّفاعة . أما وقد نفيت الشّفاعة برز دور المال فنُفِى الفداء . وكانت نتيجة كل هذه الأمور المرفوضة نفى النّصر عن القوم الظّالمين .

ويتحوّل السّياق إلى تعداد نعم الله تعالى على بنى إسرائيل فقد نجّاهم الله تعالى من آل فرعون الّذين يسومونهم سوء العذاب يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وفى ذلك بلاءٌ من الله عظيم لبنى إسرائيل . كما أنّ الله سبحانه وتعالى قد فرق ببنى إسرائيل البحر فأنجاهم وأغرق آل فرعون وهم ينظرون . وحينما واعد الله سبحانه وتعالى موسى أربعين ليلة يؤتيه بعدها التّوراة واتّخذ فى أثنائها بنو إسرائيل العجل إلهًا وهم ظالمون عفا الله سبحانه وتعالى عنهم لعلّهم يشكرون . وآتى الله سبحانه وتعالى موسى التّوراة الّتى يفرق بها بين الحقّ والباطل لعلّهم يهتدون . وحينما قال موسى عليه السّلام لقومه إنّهم ظلموا أنفسهم باتّخاذهم العجل ، وهو من أغبى الحيوان ، إلـٰها وأمرهم بوحى من الله تعالى أن يتوبوا إلى بارئهم جلّ وعلا بأن يمكّن عابد والعجل الّذين لم يعبدوا العجل من رقابهم تاب الله تعالى عليهم وهو التّوّاب الرّحيم وإلاّ لفنى بنو إسرائيل وغدوا كأمس الدّابر .

وحينما قالوا لموسى عليه السّلام لن نؤمن لك حتّى نرى الله تعالى عياناً وأخذتهم الصّاعقة وهم ينظرون بعثهم الله تعالى من بعد موتهم لعلّهم يشكرون ، وظلّل الله تعالى عليهم الغمام فى التّيه ليقيهم حرّ الشّمس وأنزل عليهم المنّ من طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس وهو أحلى من الشّهد وأبيض من الثّلج ويسقط على الشّجر ، وأرسل الرّيح تحشر عليهم السّلوى ، طائر يشبه السّمانى أو هو السّمانى فيذبح الرّجل منها ما يكفيه ، وقيل لهم كلوا من طيّبات ما رزقكم الله تعالى واشكروا لله تعالى ولكنّهم كفروا وما ظلموا إلا أنفسهم . وحينما امتثلوا أمر الله تعالى على عهد يوشع بن نون عليه السّلام بدخول مدينة الجبّارين نصرهم الله تعالى وقيل لهم كلوا من القرية حيث شئتم ، ولكنّ بعضهم ظلم نفسه وعصى أمر الله تعالى فلم يدخل الباب ساجداً شاكراً لله تعالى و لم يسأل الله تعالى أن يحطّ ذنبه بل دخل زاحفاً على استه قائلا : حنطةٌ فى شعر فأنزل الله تعالى على الّذين ظلموا عذاباً من السّماء أما الّذين امتثلوا أمر الله تعالى فتحقّق فيهم قوله تعالى : ﴿ نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ﴾ ومن البيّن أنّ الحديث عن بنى إسرائيل على عهد يوشع عليه السّلام بسبب علاقته بالتّيه الّذى ضربه الله تعالى على بنى إسرائيل بسبب جبنهم والّذى انتهى بسبب طاعتهم يوشع عليه السّلام .

أما وقد استجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السّلام لقومه فى التّيه بشأن الطّعام فكان المنّ والسّلوى وبقى الشّراب ، فإنّ الله سبحانه وتعالى يستجيب كذلك دعاء موسى عليه السّلام لقومه بشأن الماء أعزّ مفقود وأهون موجود ، ويكون وجود الماء عن طريق معجزةٍ مادّيّة ضمن سلسلة المعجزات من هذا النّوع الّتى تتمشّى مع طبيعة بنى إسرائيل غير السّويّة فيأمر الله تعالى موسى عليه السّلام أن يضرب بعصاه الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً بعدد الأسباط الاثنى عشر من بنى إسرائيل ، ويعلم كلّ سبطٍ العين الخاصّة به ، ويؤمرون بأن يأكلوا ويشربوا من رزق الله تعالى وألا يفسدوا فى الأرض وألاّ يتمادوا فى الإفساد . وإنّ الحديث عن نعم الله تعالى على بنى إسرائيل يبدأ بالآية التّاسعة والأربعين وينتهى بالآية السّتّين .

والآية الكريمة التّالية تتحدّث عن كفران بنى إسرائيل النّعمة وعصيانهم وكفرهم

بآيات الله تعالى وقتلهم الأنبياء بغير حقّ وضرب الله تعالى الذّلّة عليهم واستحقاقهم غضب الله تعالى . وكان منطلق القوم قولهم لموسى إنّهم لن يصبروا على المن والسّلوى وطلبهم أن يدعوا الله تعالى لهم أن يخرج لهم ممّا تنبت الأرض من بقلها وقثّائها وحنطتها وعدسها وبصلها وإصرارهم على استبدال الأدنى من الطّعام بالّذى هو خير . إنّ عرض المعانى فى الآية الكريمة غايةٌ فى الإبداع وترتيبها غايةٌ فى الإعجاز بحيث يصحّ القول بشأن قسم العقاب فى الآية الكريمة وأسبابه إنّ ثمّة درجاتٍ ثلاثاً تتدرّج فيها المعانى ، وإنّ كلاً من الدّرجات الثّلاث ذات شقين ، وإنّ كلّ درجةٍ مبنيّةٌ على الأخرى ومترتّبةٌ عليها ، وإنّ الابتداء كان بأعلى الدّرجات ، وإن الشّقّ الثّانى فى كلّ درجة مترتّبٌ على الشّقّ الأوّل فى الدّرجة ذاتها . قال تعالى : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعامٍ واحدٍ فادع لنا ربّك يخرج لنا ممّا تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الّذى هو أدنى بالّذى هو خير . اهبطوا مصراً فإنّ لكم ما سألتم . وضُرِبت عليهم الذّلّة والمسكنة وباءوا بغضبٍ من الله . ذلك بأنّهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النّبيّين بغير الحقّ . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ والآية الكريمة التّالية : ﴿ إنّ الّذين آمنوا والّذين هادوا والنّصارى والصّابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ تبيّن أنّ الّذين آمنوا بمحمّدٍ ﷺ ، ويلاحظ تقديمهم فى الذّكر تنبيهاً على شرفهم لشرف نبيّهم وشرف الرّسالة الّتى يحملون ، وتبيّن أنّ اليهود وهم أتباع موسى عليه السّلام والنّصارى أتباع عيسى عليه السّلام والصّابئين وهم فئة موحّدة تعتقد أنّ النّجوم فعّالة ، من آمن بالله تعالى واليوم الآخر وما بينهما من أركان الإسلام والإيمان ومن بينها الإيمان بخاتم المرسلين محمّد بن عبد الله ﷺ ، وعمل صالحاً فلهم أجرهم ولا خوفٌ عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما تركوا وراءهم فى الدّنيا لأنّ نعيم الآخرة خالٍ من الشّوائب مقيم . وبهذا يتبيّن أنّ الآية تؤكّد معنى قوله تعالى(١) : ﴿ إنّ الدّين عند الله الإسلام ﴾ .

---

(١) سورة آل عمران ١٩

ويتحوّل السّياق إلى تعداد بعض نعم الله تعالى على القوم . لقد أخذ الله تعالى منهم العهد المؤكد ، ورفع فوقهم الطّور حينما رفضوا الامتثال لتعاليم التّوراة ، وأيقنوا أنّه واقعٌ بهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوّة وترجموه إلى عمل واذكروا ما فيه باللّسان وبالقلب لعلّكم تتّقون . ولكن بنى إسرائيل أعرضوا من بعد ذلك فلولا فضل الله تعالى على بنى إسرائيل ورحمته لكانوا من الخاسرين . وإنّ بنى إسرائيل المعاصرين للمصطفى ﷺ على علم بسكّان قرية أيلة على البحر الأحمر الّذين اعتدوا فى يوم السّبت المخصّص أساساً للعبادة فاصطادوا السّمك وباعوه علانية وأكلوه فجعلهم الله تعالى قردةً ذليلين . وقد جعل الله سبحانه وتعالى تلك القرية وما حلّ بها عبرةً للمعاصرين واللاّحقين وموعظةً للمتّقين . وكان أهل القرية على عهد داود عليه السّلام فيما يقال .

ويتحوّل السّياق إلى قصّة البقرة الّتى سمّيت السّورة باسمها وإلى أمر الله تعالى بنى إسرائيل على لسان موسى عليه السّلام أن يذبحوا بقرة ، ربّما لأنّها من جنس العجل الّذى عبدوه ، والعجل ولد البقرة . وقد تجلّى فى هذه الحادثة حمق بنى إسرائيل وجراءتهم على رسول الله تعالى إليهم موسى عليه السّلام وإرادتهم العسر بأنفسهم بينما أراد الله تعالى بهم اليسر ولكنّهم شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله تعالى عليهم . ويتجلّى حمقهم فى قولهم لموسى عليه السّلام رسول الله تعالى إليهم ، وقد أخبرهم بأمر الله تعالى لهم أن يذبحوا بقرة ، كما جاء فى الآية الكريمة : ﴿ قالوا أتتّخذنا هزواً ﴾ وتتجلّى جراءتهم على رسول الله تعالى إليهم ويتجلّى تشديدهم على أنفسهم فى الأسئلة عن البقرة الّتى لا تكاد تنتهى فثمّة سؤال عن ماهيّة البقرة ، وعن لونها ، وعن صفتها . وتتجلّى رحمة الله تعالى بالقوم فى الإجابة على كلّ سؤال للقوم يطرحونه على موسى عليه السّلام وفى تعدّد جوانب الجواب كى تسدّ على القوم كلّ المنافذ إلى أسئلةٍ أخرى جديدة . فلا يكتفى الجواب على السّؤال عن ماهيّة البقرة بوصفها بأنّها لا فارضٌ ولا بكر بل ينصّ على أنّها عوان بين ذلك . ولا يكتفى الجواب على السّؤال عن البقرة بأنّها صفراء ، بل إنّها صفراء ، فاقعٌ لونها ، تسرّ النّاظرين . ولا يكتفى الجواب على السّؤال عن صفة البقرة بأنّها ليست عاملة أو بأنّها سائمة بل ينصّ على نفى أهمّ مظهرين للعمل إثارة الأرض وسقى الحرث ،

وفى نفيهما نفىٌ لكلّ عملٍ دونهما وإثباتٌ لكون البقرة سائمة ، ويضاف إلى ذلك نفى أىّ عيب فى البقرة ، فهى لا تعمل وكفى وهى مسلّمةٌ من كلّ عيب وأخيراً هى خالصةُ الصّفرة فليس فيها أىّ لونٍ يخالف معظم لونها . ومن رحمة الله تعالى بالقوم أن ألهمهم الله تعالى القول : ﴿ وإنّا إن شاء الله لمهتدون ﴾ ومن رحمة الله تعالى بالقوم أنّهم وجدوا أخيراً البقرة الّتى تلك صفاتها ووفّقهم لذبحها . ومن ألطف ما يدلّ على غباء القوم وأنّ لهم حظًّا ممّا يعرف به البقر من غباء هو مجىء لفظ بقرةٍ فى كلّ جوابٍ من موسى عليه السّلام على سؤالٍ للقوم وذلك فى القول : « إنّها بقرة » لقد كان فى الإمكان الاكتفاء باسم الضّمير ولكنّ القوم بالاسم الظّاهر لا يفقهون . إنّ من نعم الله تعالى على بنى إسرائيل أن هداهم إلى ذبح البقرة ، وإنّ من نعم الله تعالى على القوم كذلك أن أحيا جلّ وعلا القتيل الّذى ضُرِب ببعض البقرة فدلّ على من قتله وقدّم للقوم الدليل العملىّ على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى .

والعجيب فى أمر بنى إسرائيل أنّهم رغم كلّ هذه الأدلّة والبراهين والنّعم قست قلوبهم فغدت كالحجارة أو أشد قسوة . إنّ قلوب القوم لا ترقّ لموعظة ولا تنفعل لنبأ بينما الحجارة منها ما يتفجّر منه الأنهار ، ومنها ما يشقّق فيخرج منه الماء ، ومنها ما يهبط من خشية الله . إنّ الله سبحانه وتعالى ليس بغافلٍ عمّا يعمل أولئك الظّالمون . إنّ انفعال الحجارة متناغم مع كثرة الماء وقلّته ، وجوده وعدمه أمّا قلوب القوم فصخرٌ أصمّ .

وتستمرّ الآيات الكريمات فى الحديث عن بنى إسرائيل حتّى نهاية الآية الكريمة الثّالثة والثّلاثين بعد المائة . إنّها تبدأ بإيئاس المؤمنين أن يطمعوا فى إيمان بنى إسرائيل لهم وهم الّذين يحرّفون التّوراة الكتاب السّماوىّ الّذى أوحاه الله تعالى لرسول الله تعالى إليهم موسى عليه السّلام . وبشأن القرآن الكريم منهم المنافقون الّذين يتظاهرون بالإيمان ومنهم المنكرون على الّذين تظاهروا بالإيمان لأنّ فى التّظاهر بالإيمان وإعلان موافقة نعوت النّبىّ المنتظر الّذى بشّرت به التّوراة للنّبىّ الخاتم ﷺ حجّةً عليهم عند ربّهم جلّ وعلا ، وهم ينكرون على المتظاهرين بالإيمان فعلهم وقولهم وكأنّ الله سبحانه وتعالى لا يعلم ما يسرّون وما يعلنون ، ومن ذلك الّذى يسرّون إيقانهم بصدق محمّد ﷺ بينما يعلنون

تكذيبه . ومن بنى إسرائيل أمّيّون بسطاء لا يعلمون التّوراة إلاّ مجموعةً من الأمانى والظّنون ، وهؤلاء أداةٌ طيّعة فى أيدى أحبارهم الّذين ملأوا نفوسهم بالأمانى ومن ذلك أن يدخلوا الجنّة وحدهم ، فما أشد العذاب الّذى ينتظر أولئك الّذين يكتبون الكتاب بأيديهم ويصرفونه عن وجهه ويقولون هذا من عند الله من أجل مقابلٍ رخيص من مالٍ أو جاه . ومن أمانىّ القوم وظنونهم أنّ النّار لن تمسّهم إلاّ أربعين يوماً هى عدد الأيّام الّتى عبد فيها آباؤهم العجل . وقد أكذبهم القرآن الكريم وقرّر أنّ من كسب سيّئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون ، وفى مقابل هؤلاء الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات فأولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون .

وقد أُخِذَ على بنى إسرائيل العهد المؤكّد إلاّ يعبدوا إلا الله تعالى وبالوالدين إحساناً وذى القربى واليتامى والمساكين وأن يقولوا للنّاس قولاً حسناً وأن يقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة وقد تولّى أكثرهم وهم معرضون إلاّ قليلاً منهم . كما أخذ عليهم العهد المؤكّد ألا يسفك بعضهم دم البعض الآخر وألاّ يخرجوا إخوانهم فى العقيدة من ديارهم ولكنّهم فعلوا غير ذلك وعكس ذلك وذلك من مظاهر كفرهم ببعض التّوراة ، وهم فى مفاداتهم الأسرى امتثالاً لأمر التّوراة يؤمنون ببعض التّوراة . وهكذا يكفر القوم ببعض الكتاب وهو الأكثر ويؤمنون ببعض الكتاب وهو الأقلّ وقد استحقّوا بسبب ذلك الخزى فى الدّنيا والعذاب الشديد يوم القيامة ، لأنّهم اشتروا الحياة الدّنيا بالآخرة .

وقد آتى الله سبحانه وتعالى موسى التّوراة وقفّى من بعده بالرّسل ، وآتى عيسى ابن مريم الآيات البيّنات وأيّده بجبريل عليه السّلام وقد استمرّ بنو إسرائيل فى تكذيب فريق من النّبيّين وآخرهم محمّد ﷺ وقتل فريق آخر كزكريّا ويحيى عليهما السّلام . وزعموا أنّ قلوبهم غلف لا تستطيع أىّ موعظةٍ أن تتسلّل إليها ، والحقيقة أنّ الله سبحانه وتعالى قد لعنهم بسبب كفرهم إلاّ قليلاً منهم . ولمّا جاءهم القرآن الكريم معجزة النّبىّ الخاتم الّذى بشّرت به التّوراة وكانوا يستنصرون به عليه الصّلاة والسّلام كفروا بكلّ منهما فلعنة الله تعالى على الكافرين ، وبئس ما باعوا أنفسهم وحظّها من الإيمان وهو كفرهم بما أنزل الله تعالى بغياً منهم وبغضاً أن ينزّل الله من فضله على من يشاء من عباده فرجعوا بغضبٍ من الله

على غضب ، بسبب ذنب الكفر بالقرآن الكريم وذنب البغى على المصطفى ﷺ فلهم عذابٌ مهين . وحينما يقال لهم آمنوا بالقرآن الّذى أنزل الله تعالى قالوا نؤمن بما أنزل الله تعالى علينا من التّوراة ويكفرون بما وراء التّوراة ويكفرون بالقرآن الكريم المصدّق لما معهم قل يا محمّد فلم تقتلون أنبياء الله تعالى خلافاً لأمر الله تعالى وأمر التّوراة إن كنتم مؤمنين حقّا . ولقد جاءكم موسى بالبيّنات ثمّ اتّخذتم العجل إلٰهاً من بعده وأنتم ظالمون . وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم جبل الطّور حينما رفضتم تطبيق تعاليم التّوراة وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم من تعاليم بقوّة واسمعوا فقلتم سمعنا قولك وعصينا أمرك يا موسى وخالط حبّ العجل شغاف قلوبكم . قل يا محمّد بئس ما يأمركم به إيمانكم بالتّوراة عبادة العجل إن كنتم مؤمنين . وهم يزعمون أنّ الجنّة مقصورةٌ عليهم لذا يأمرهم القرآن أن يتمنّوا الموت إن كانوا صادقين أنّهم سيدخلون الجنّة وحدهم ، لأن الآخرة خيرٌ من الأولى . ومن مظاهر إعجاز القرآن الكريم تقريره أنّهم لن يتمنّوا الموت أبداً بسبب ما قدّمت أيديهم من سيّىء الأعمال والله عليمٌ بالظّالمين . بل إنّ القرآن الكريم من مظاهر إعجازه ليقرّر أنّك أيّها المخاطب لتجد بنى إسرائيل أحرص النّاس على حياة ، وأحرص من الّذين أشركوا . وانظر إلى تنكير لفظة « حياة » المهمّ أن يحيا القوم أىّ حياة فلا يهمّ فى قليلٍ أو كثيرٍ أن تكون حياةً كريمة أو مهينة . بل إنّ الواحد منهم يودّ لو يعمّر ألف سنةٍ بسبب سوء عمله ويقرّر القرآن الكريم أنّ تعميره مهما طال فليس بمزحزحه من العذاب . والله بصيرٌ بما يعملون .

وبنو إسرائيل يزعمون أنّهم كفروا بمحمّد ﷺ لأنّ جبريل هو الّذى يأتى محمّداً ﷺ بالرّسالة وجبريل حسب زعمهم عدوٌّ لهم ! ويقرر السّياق أنّ من كان عدوّاً لجبريل عليه السّلام فإنّه نزّل على قلب المصطفى ﷺ القرآن الكريم بإذن الله تعالى مصدقاً لما بين يديه من الكتاب وهدًى وبُشْرى للمؤمنين . إنّ من كان عدوّاً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإنّه كافر وإنّ الله تعالى عدوٌّ للكافرين . والله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم آياتٍ بيّناتٍ وما يكفر بها إلاّ الفاسقون ، ومنهم بنو إسرائيل الّذين كلّما عاهدوا عهداً نبذه فريقٌ منهم لأنّ أكثرهم لا يؤمنون . ولمّا جاءهم رسولٌ من عند الله تعالى هو

محمّد ﷺ مصدّقٌ لما معهم من الكتاب نبذ فريقٌ من بنى إسرائيل التّوراة وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتّبعوا ما تتلو الشياطين على عهد ملك سليمان من كتب السّحر والشّعوذة ، وما كفر سليمان عليه السّلام ولا جحد نعم الله تعالى ولكنّ الشّياطين كفروا يعلّمون النّاس السّحر ويعلمانهم ما أُنْزل على الملكين ببابل هاروت وماروت . وما يعلّم الملكان من أحدٍ السّحر حتّى يقولا إنّما نحن فتنةٌ وابتلاءٌ فلا تكفر ، فيتعلّمون من الملكين ما يفرّقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارّين بالسّحر من أحدٍ إلا بإذن الله تعالى ، ويتعلّمون مايضرّهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه واختار السّحر فى هذه الحياة الدّنيا ماله فى الآخرة من نصيبٍ من الخير ، ولبئسما اشتروا به أنفسهم وباعوها بثمنٍ بخسٍ لو كانوا يعلمون . ولو أنّ بنى إسرائيل آمنوا واتّقوا لمثوبةٌ من عند الله خيرٌ لو كانوا يعلمون . وبقصد سدّ الذّرائع يُنْهَى المؤمنون أن يقولوا فى خطابهم للنّبىّ ﷺ راعنا مع أنّهم يريدون معناها الحسن وهو أقبل علينا وانظر إلينا لأنّ اليهود يريدون بهذا القول معناه الآخر السّيّى فى لسانهم وهو أسمع لا سمعت ، والّذى لا يسمع هو الميّت ، وهذا ما يريده بنو إسرائيل وقد أُمر المؤمنون أن يقولوا : « انظرنا » وأن يسمعوا سماع قبول ، وللكافرين عذابٌ أليم . وهؤلاء الكافرون من أهل الكتاب ومن المشركين ما يودّون أن ينزل على المؤمنين من خيرٍ من ربّهم ، والله يختصّ برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . فخصّ محمّداً ﷺ بنعمة النّبوة وهو من العرب وذلك مجدٌ أىّ مجدٍ لهم . وقد كذب بنو إسرائيل فجحدوا النّسخ وبيّن السّياق أنّ ما ينسخ الله تعالى من آيةٍ أو يتركها دون نسخٍ فإنّ الله سبحانه وتعالى يأتى بخيرٍ منها أو مثلها فإنّ الله تعالى على كلّ شيءٍ قدير ، وإنّ لله ملك السّماوات والأرض وما لنا من دونه تعالى من ولىٍّ يتولّى شئوننا ولا نصيرٍ ينصرنا . وينهى المؤمنون عن أن يسألوا المصطفى ﷺ ويلحفوا فى الأسئلة خوفا من أن يتورّطوا فى سؤاله عليه الصلاة والسّلام كما تورّط بنو إسرائيل فى سؤالهم موسى عليه السّلام فى الكفر . ويقرّر السّياق أنّ أهل الكتاب يودّون لو تورّط المؤمنون فى الكفر وارتدّوا كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحقّ . ويؤمر المؤمنون فى تلك المرحلة المدنيّة المبكّرة بأن يعفوا ويصفحوا حتّى يأتى الله تعالى القادر على كل شيءٍ بأمره ، ويؤمر

المؤمنون بأن يقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة وأن يفعلوا الخير فإنّ الله بما يعملون بصير .

وقد زعم اليهود أنّ الجنّة مقصورة على اليهود ، وزعم النّصارى أنّ الجنّة مقصورةٌ على النّصارى . وردّ القرآن الكريم على الفور : ﴿ تلك أمانيّهم . قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ . وأكذبهم القرآن الكريم وبيّن أن من أسلم وجهه لله وهو محسنٌ فله أجره عند ربّه ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون . وزعم اليهود أنّ النّصارى ليسوا على شيءٍ صحيح من الدّين ، وزعم النّصارى أنّ اليهود ليس على شيءٍ صحيحٍ من الدّين وهم يتلون الكتاب الّذى لا يقول بذلك . إنّ مثل ذلك الزّعم قاله الّذين لا يعلمون من العرب عن اليهود والنّصارى وإنّ الله سبحانه وتعالى يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . وقد تجاوز النّصارى القول ضدّ اليهود إلى الفعل فهاهم أولاء يساعدون بختنصّر المجوسىّ ضدّ اليهود وهم أهل كتاب فيخرّب بيت المقدس ، وإنّ كفّار مكّة يحولون عام الحديبية بين المصطفى ﷺ والمسلمين وبين زيارة البيت العتيق . إنّ السّياق يقرّر أنّه لا أحد أظلم ممّن منع مساجد الله تعالى أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها معنويّاً وحسيّاً . إنّ أولئك الظّالمين ما كان لهم أن يدخلوا تلك البيوت الّتى أذن الله تعالى أن ترفع إلاّ خائفين ، إن لم يكن من الله تعالى فمن عباده المؤمنين . إنّ أولئك لهم فى الدّنيا خزىٌ ولهم فى الآخرة عذابٌ عظيم ، وإنّ لله سبحانه وتعالى المشرق والمغرب فأينما نولّى وجهنا فى الصّلاة حينما لا نتمكّن من الاتّجاه فى صلاتنا إلى القبلة فثمّ وجه الله تعالى الواسع العليم . وقد زعم مشركو النّصارى واليهود والعرب أنّ الله سبحانه وتعالى قد اتّخذ ولداً سبحانه وتعالى عمّا يشركون ، وإنّ كلّ ما فى السّماوات والأرض قانتٌ له جلّ وعلا مطيع . وهو بديع السّماوات والأرض إذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون .

لقد قال الّذين لا يعلمون من مشركى العرب هلاّ يكلّمنا الله أو تأتينا آيةٌ غير القرآن الكريم . كذلك قال الّذين من قبلهم من اليهود والنّصارى مثل قولهم لتشابه قلوبهم فى الكفر . وقد بيّن الله سبحانه وتعالى الآيات لقوم يوقنون ، وقد أرسل الله تعالى محمّداً ﷺ بالحقّ بشيرا ونذيراً فعليه البلاغ وحده ، ولا يُسْأل عليه الصّلاة والسّلام عن أصحاب الجحيم من الكافرين ، ومن هؤلاء كافرو أهل الكتاب ، فلا يرضى اليهود

إلاّ أن يتحوّل المسلمون يهوداً — لا سمح الله — ولا يرضى النّصارى إلاّ أن يتحوّل المسلمون نصارى — لا سمح الله — . ويقرّر السّياق أنّ الهدى الخليق بهذا الاسم هو هدى الله تعالى الّذى بعث به محمّد بن عبد الله ﷺ الّذي يحذّره السّياق من اتباع أهواء أولئك الضّالين فإنّه لو فعل ذلك — فرضًا — فليس له من الله تعالى من وليّ ولا نصير . إنّ الّذين يتلون الكتاب السّماويّ الّذى آتاهم الله تعالى إيّاه حقّ التّلاوة أولئك يؤمنون به ويترجمون تعاليمه إلى عمل ويتّبعون الرّسول النّبى الأمّيّ محمّداً ﷺ . أمّا من يكفر به فأولئك هم الخاسرون . ويؤمر بنو إسرائيل أن يذكروا باللّسان والقلب والعمل نعمة الله تعالى عليهم وتفضيله إيّاهم على عالمى زمانهم ، وأن يتّقوا يوم القيامة الّذى لا تجزى فيه نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا يُقْبَلُ منها فداءٌ أصلاً ولا تنفعها شفاعةٌ هى مرفوضة ابتداءً ولا هم ينصرون .

ويأتى القسم التّالى وعنوانه : « إبراهيم عليه السّلام المسلم لله ربّ العالمين » ويبدأ بالآية الكريمة الرّابعة والعشرين بعد المائة وينتهى بالآية الكريمة الحادية والأربعين بعد المائة ، أى بنهاية الجزء الأول من القرآن الكريم . وهذا القسم يقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى ابتلى إبراهيم عليه السّلام بتكاليف أتمّها بنجاح فاستحقّ أن يجعله ربّه جل وعلا للنّاس إمامًا فهو أبو الأنبياء من بعده . وحرصاً منْ إبراهيم عليه السّلام على مسارعة ذرّيّته فى الخيرات هو لا ينسى ذرّيّته الّتى يريد لها أن يكون لها هى الأخرى حظٌّ فى الإمامة وتُقْصى الآية الكريمة الظّالمين من الإمامة . وقد جعل الله سبحانه وتعالى البيت الحرام مثابةً للنّاس يرجعون إليه دائماً وأمناً ، وأمر جلّ وعلا بأنْ يتّخذ المسلمون لله ربّ العالمين من مقام إبراهيم عليه السّلام ، وهو الحجر الّذى علاه فى أثناء بنائه البيت العتيق ، مصلّى يصلّون عنده ، وبخاصّةٍ ركعتا الطّواف . وقد شمل لفظ المقام المكان الّذى فيه الحجر للجوار . وعهد الله سبحانه وتعالى لإبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السّلام أن يطهّرا بيته جلّ وعلا للطّائفين والعاكفين والمصلّين . وقد دعا إبراهيم عليه السّلام ربّه جلّ وعلا أن يجعل البلد الحرام آمناً وأن يرزق أهله من الثّمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر . ويتفضّل ربّ العزّة فيقبل دعوة إبراهيم عليه السّلام ويتّسع فضله جلّ وعلا كى يشمل من كفر بأن يمتّعه فى هذه الدّنيا قليلاً ثمّ يلجئه يوم القيامة إلى عذاب النّار وبئس المصير . وحينما يرفع

إبراهيم عليه السّلام وابنه إسماعيل عليه السّلام القواعد من البيت يدعوان الله تعالى أن يتقبّل منهما فهو جلّ وعلا السّميع العليم . ويدعوان الله تعالى أن يجعلهما مسلمين له جلّ وعلا وأن يجعل من ذرّيّتهما أمّةً مسلمةً له جلّ وعلا وأن يريهما مناسكهما وأعمال الحجّ ، وأن يتوب عليهما وذلك مظهرٌ من مظاهر التّواضع والخلق العظيم الّذى فطر الله تعالى عليه الرّسولين الكريم إنّه جلّ وعلا التّواب الرّحيم . ولا ينسى الرّسولان الكريم ذرّيّتهما فيدعوان الله تعالى أن يبعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آيات الكتاب العزيز ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويطهّرهم . إنّه جلّ وعلا العزيز الحكيم . ويقرّر السّياق أنّ من يرغب عن ملّة إبراهيم عليه السّلام هو الّذى سفه نفسه وجهل قدرها . وقد اصطفى الله تعالى إبراهيم عليه السّلام فى الدّنيا وإنّه فى الآخرة لمن الصّالحين . إذ قال له ربّه فى هذه الحياة الدّنيا أسلم قال أسلمت لربّ العالمين . ووصّى بهذه الملّة إبراهيم عليه السّلام بنيه ويعقوب عليه السّلام بنيه قائلين يا بَنِيّ إنّ الله تعالى اصطفى لكم دين الإسلام فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون .

ولمّا كان اليهود والنّصارى قد زعموا أنّ إبراهيم عليه السّلام كان يهوديًّا فى عرف اليهود نصرانيّاً فى عرف النّصارى وقد أكذبهم القرآن الكريم ، فقد كان ثمّة سؤالٌ إنكارىّ أن يكون اليهود والنّصارى شهداء إذ حضر يعقوب عليه السّلام الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعد وفاتى قالوا نعبد إلٰهك وإلٰه آبائك إبراهيم عليه السّلام أبى الأنبياء وإسماعيل بن إبراهيم وإسحاق بن إبراهيم عليهم السّلام إلٰها واحداً لا شريك له ونحن له مسلمون . إنّ تلك أمّةٌ قد مضت لها ما كسبت من حسنات وسيّئات ولكم ما كسبتم من حسناتٍ وسيّئاتٍ ولا تُسْأل عمّا كانوا يعملون .

وقال اليهود كونوا هوداً تهتدوا ، وقال النّصارى كونوا نصارى تهتدوا ، قل يا محمّد بل نتّبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ، وقولوا أيّها المسلمون لهم آمنّا بالله تعالى ربّاً وما أُنْزل إلينا من قرآنٍ كريم وما أنزل إلى إبراهيم من صحف وإلى إسماعيل وإسحاق ويعقوب ، وما أوتى موسى من توراة وعيسى من إنجيل ، وما أوتى النّبيّون من ربّهم لا نفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون . فإن آمن اليهود والنّصارى وسواهم بمثل

ما آمنتم به أيّها المسلمون فقد اهتدوا وإن أعرضوا فإنّما هم فى شقاق وخصام فسيكفيكهم الله وهو السّميع العليم . إنّ دين الإسلام صبغة الله ولا أحد أحسن من الله صبغة ونحن عابدون له وحده لا شريك له . وكيف يحاجّنا اليهود والنّصارى وسواهم فى دين الله تعالى والله تعالى هو ربّنا وربّهم ولنا أعمالنا ولهم أعمالهم ونحن له مخلصون جلّ وعلا وليس الآخرون كذلك . أم يقول اليهود والنّصارى إنّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً فى عرف اليهود نصارى فى عرف النّصارى . قل يا محمّد له : أأنتم أعلم أم الله ؟ ولا أحد أظلم ممّن كتم شهادةً عنده من الله تعالى بأنّ إبراهيم عليه السّلام ما كان يهوديّاً ولا نصرانيّاً بل حنيفاً مسلماً . إنّ الله سبحانه وتعالى ليس بغافلٍ عمّا يعملون . إنّ تلك أمّةٌ قد خلت لها ما كسبت ولنا ما كسبنا ولا نُسْأل عمّا كانوا يعملون .

فإذا تحوّلنا إلى الجزء الثّانى من المصحف الشّريف تبيّن أنّ القسم الأوّل عنوانه : « القِبلة ومتعلّقاتها » ويشمل الآيات ٤٢ — ١٦٤ ويبدأ بالتّنبّوء بما سيقول السّفهاء من اليهود وسواهم فى التّولّى عن القبلة والاتّجاه فى الصّلاة عن بيت المقدس إلى الاتّجاه فى الصّلاة للمسجد الحرام . ويبيّن السّياق أنّ لله المشرق والمغرب وأنّه جلّ وعلا يتعبّد عباده بما شاء وأنّه جلّ وعلا يهدى من يشاء إلى صراطٍ مستقيم . وكما هدانا الله سبحانه وتعالى إلى الاتّجاه فى الصّلاة شطر المسجّد الحرام جعلنا أمّةً وسطاً لنكون شهداء على النّاس وليكون الرّسول ﷺ شهيداً علينا بأنّه بلّغ الرّسالة وأدى الأمانة . وما جعل الله سبحانه وتعالى القبلة الّتى كان المصطفى ﷺ عليها إلاّ ليعلم جلّ وعلا علم ظهور من يتّبع الرّسول ممّن ينقلب على عقبيه مرتدّاً إلى الكفر . وبشأن الّذين صلّوا إلى بيت المقدس وتوفّوا لن يضيع الله تعالى صلاتهم ، إنّه جلّ وعلا بالنّاس لرءوف رحيم . لقد كان المصطفى ﷺ بالمدينة عقب كلّ صلاةٍ يقلّب وجهه فى السّماء ويدعو الله تعالى بأن تكون قبلته قبلة أبيه إبراهيم عليه السّلام وقد استجاب الله تعالى دعاءه وولاّه القبلة الّتى يرضاها فأمره بأن يتّجه فى صلاته شطر المسجد الحرام وأن يتّجه المسلمون حيثما كانوا إليها . ويقرّر السّياق أنّ أهل الكتاب يعلمون أنّ تحويل القبلة هو الحقّ من ربّهم جل وعلا

وما الله بغافلٍ عمّا يعملون . ويقرّر السيّاق أنّ المصطفى ﷺ لو أتى أهل الكتاب بكلّ آيةٍ ما تبعوا قبلته عليه الصّلاة والسّلام ، وما هو بتابعٍ قبلتهم ، وما بعضهم بتابعٍ قبلة بعض ، فعلى المصطفى ﷺ ألاّ يتّبع أهواء القوم الّذين آتاهم الله تعالى الكتاب ويعرفونه ﷺ عن طريقه كما يعرفون أبناءهم ولكنّ فريقاً منهم يكتمون الحقّ وهم يعلمون ، ذلك الحقّ الّذى أتى المصطفى ﷺ من الله تعالى . إنّ لكلٍّ وجهةً هو مولّيها وجهه فعلينا الاستباق للخيرات والله سبحانه وتعالى القادر على كلّ شيءٍ سوف يأتى بنا جميعًا . وإنّ المصطفى ﷺ من أىّ مكانٍ خرج فليولّ وجه شطر المسجد الحرام فإنّ هذا المأمور به من ربّه جلّ وعلا هو الحقّ وما الله بغافلٍ عمّا يعملونَ . ويكرّر السيّاق أمره ﷺ بأن يتّجه فى صلاته شطر المسجد الحرام كما تؤمر أمّته بذلك لئلاّ يكون للنّاس علينا حجّة إلاّ الّذين ظلموا منهم فعلينا ألاّ نخشاهم وأن نخشى الله تعالى وحده لا شريك له وليتمّ الله تعالى علينا نعمته ولعلّنا نهتدى إلى الصّراط المستقيم . ومن تمام النّعمة علينا أن أرسل الله تعالى فينا رسولاً منا يتلو علينا آياته ويزكّينا ويعلّمنا الكتاب والحكمة ويعلّمنا ما لم نكن نعلم . ويأمرنا السّياق بأن نذكره جلّ وعلا كى يذكرنا وأن نشكر له تعالى ولا نكفره . ولمّا كان نصف الإيمان شكراً ونصفه الآخر صبراً تحوّل الحديث إلى الصّبر . فالّذين آمنوا مأمورون بأن يستعينوا بالصّبر وبالصّلاة فإنّ الله تعالى مع الصّابرين ، ومن ميادين الصّبر الجهاد فى سبيل الله تعالى الّذى يقترن به الاستشهاد فى سبيل الله تعالى . وينهانا السّياق عن أن نقول عن الّذين قتلوا فى سبيل الله تعالى إنّهم أموات بل أحياءٌ ولكن لا نشعر بذلك . ويقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى سيبتلينا بشىءٍ من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثّمرات . وقد رتّب السّياق هذه المظاهر من الابتلاء وفق كثرتها ويبشّر الصّابرين الّذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنّا لله خلقاً ملكاً وعبيداً وإنّا إليه راجعون ، إنّ أولئك عليهم غفرانٌ من ربّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون . ويتمّ التّحوّل إلى الحديث عن الحجّ والعمرة والسّعى بين الصّفا والمروة باعتبار الحجّ يحتاج لكثيرٍ من الصّبر ، ومن تطوّع خيراً بالحجّ والعمرة بعد قضاء حجّته الواجبة عليه فإنّ الله شاكرٌ عليم .

ويتحوّل السّياق للحديث عن الّذين يكتمون ما أنزل الله تعالى من الآيات البيّنات وبخاصّة نعته ﷺ الموجود فى التّوراة والإنجيل ويقرّر أن عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ، ويستثنى السيّاق الّذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا فإن الله تعالى التّوّاب الرّحيم يتوب عليهم . أمّا من أصرّ على كفره حتّى توفّاه الله تعالى فإن عليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين خالدين فى اللّعنة وفى النّار الّتى لا يخفّف عنهم من عذابها ولا هم ينظرون . وردّاً على إنكار قريش أن يسع النّاس الإلـٰه الواحد فى قوله : ﴿ وإلـٰهكم إلـٰهٌ واحد لا إلـٰه إلاّ هو الرّحمن الرّحيم ﴾ نزلت الآية الكريمة الّتى تتحدّث عن خلق الله سبحانه وتعالى السّماوات والأرض وما فيهنّ والّتى قال عنها المصطفى ﷺ بعد أن قرأها : ويلٌ لمن قرأ هذه الآية فلم يتفكر فيها و لم يعتبرها . وقد رتّبت فيها العناصر ترتيباً معجزاً بحيث إنّ هذه العناصر لا يصحّ أن تكون إلاّ وفق هذا التّرتيب فالحديث عن السّماوات والأرض يتقدّم لأنّهما أكبر مخلوقات الله تعالى ولأنّ السّماوات أكبر من الأرض ثمّ يكون الحديث عن اللّيل والنّهار لشمولهما السّماوات والأرض مع تقديم اللّيل باعتباره الأصل . وإنّ جريان اللّيل والنّهار وسباحتهما فى فلكهما مرشّحان للحديث عن الفلك الّتى تسبح فى الماء باعتباره أكبر من اليابسة ، ثمّ كان الحديث عن اليابسة وما بثّ الله سبحانه وتعالى فيها من دابّة . وبعد الحديث عن الماء بنوعيه الملح والعذب كان الحديث عن متعلّقات نزول المطر أو الماء العذب من رياحٍ وتصريفٍ لها وسحابٍ وتسخيرٍ له بين السّماء والأرض . إنّ فى كلّ ذلك آياتٍ لقومٍ يعلقون .

فإذا تحوّلنا إلى القسم التالى وعنوانه : كافرون ومؤمنون ويشمل الآيات ١٦٥ — ١٧٧ تبيّنّا أنّه يقرّر حبّ بعض النّاس الأنداد الّتى يعبدونها من دون الله تعالى كحبّهم لله تعالى ، كما يقرّر أنّ الّذين آمنوا أشدّ حبّاً لله تعالى من حبّ المشركين الأنداد كما يقرّر أنّ الّذين ظلموا بالاشتراك مع الله تعالى سواه لو يرون فى هذه الحياة الدّنيا العذاب الّذى ينتظرهم يوم القيامة إذ يرون ذلك العذاب الّذى أعدّ لهم وأنّ القوّة جميعها لله تعالى وأنّ الله شديد العذاب لكان منهم الحسرة الشّديدة والنّدم الأكيد . إنّ ذلك يحدث إذ تبرّأ يوم القيامة المتبوعون من تابعيهم ورأوا العذاب الّذى أعدّ لهم وتقطّعت بينهم الأواصر

وبهم الأسباب ، وإذ قال التّابعون لو أنّ لنا عودةً إلى الحياة الأولى فنتبرّأ من المتبوعين كما تبرّأوا منا . وكما أراهم الله تعالى العذاب يريهم أعمالهم فى الحياة الأولى حسراتٍ عليهم فى الحياة الآخرة وما هم بخارجين من النّار . ويأمر السّياق كلّ النّاس أن يأكلوا مما فى الأرض حلالاً غير حرام ، وطيّباً غير خبيث ، وينهاهم عن اتّباع خطوات الشيّطان الرّجيم البيّن العداوة للإنسان ، والّذى لا يأمر إلا بالسّوء والإثم وبالفحشاء وكلّ قبيح ، وأن يقول النّاس على الله تعالى ما لا يعلمون فى مجال الحلال والحرام . وإذا قيل لأولئك الكافرين الّذين اتّبعوا خطوات الشيّطان اتّبعوا ما أنزل الله تعالى على خاتم النّبيّين محمّد بن عبد الله ﷺ قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا . وينكر السّياق عليهم تعطيلهم عقولهم قائلاً : أيتّبعونهم ولو كانوا لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون . ويضرب السّياق مثلاً لموقف الكافرين من الدّعوة إلى صراط العزيز الحميد . إنّ مثل الّذين كفروا وداعيهم إلى الهدى محمّد بن عبد الله ﷺ كمثل ذلك الرّاعى الّذى يصيح بغنمه فلا تسمع إلاّ دعاءً حينما تكون قريبة ، ولا تسمع إلاّ نداءً حينما تكون بعيدة ، ولا تفقه معنًى للدّعاء والنّداء . إنّ الكافرين صمٌّ عن سماع الحقّ سماع تدبّر عميٌ من إبصار نور الهداية ، لا يعقلون فهم كالأنعام بل هم أضلّ . ويتحوّل السّياق إلى مخاطبة المؤمنين المستفيدين الحقيقيّين من تعاليم القرآن الكريم فيأمرهم بأن يأكلوا من طيّبات ما رزقهم الله تعالى وأنّ يشكروا له جلّ وعلا نعمه وآلاءه إن كانوا يعبدونه جلّ وعلا حقّا . ويبيّن السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى إنّما حرّم علينا الميتة والدّم ولحم الخنزير وما ذكر عليه اسم غير الله تعالى . وكأنّ هذه العناصر إنّما رتّبت بناءً على كثرتها . إنّ من اضطر إلى أكل شىءٍ من هذه المحرّمات غير باغٍ فى أكله فوق حاجته ولا عادٍ بأن يجد عن هذه المحرّمات مندوحة ، فلا إثم عليه . إنّ الله غفور رحيم . إن البغى والعدوان فى مجال الطّعام رشّح للحديث عن كافرى أهل الكتاب الّذين يأكلون فى بطونهم النّار الّتى سيدخلونها يوم القيامة ، وهذه النّار الّتى فى بطونهم عبارةٌ عن الثّمن القليل الّذى يأخذونه مقابل كتمانهم ما أنزل الله تعالى من الكتاب . إنّ أكثر ما يستعمل المال فى الحصول على الطّعام وبما أنّ المال حرام فالطّعام حرام يُفْضى بهم إلى النّار فكأنّهم إنّما يأكلون النّار ولن يكلّمهم الله تعالى يوم القيامة ولن

يطهّرهم ولهم عذابٌ أليم لأنّهم اشتروا الضلالّة بالهدى والعذاب بالمغفرة فاعجبوا أيّها النّاس لصبرهم على النّار . ذلك العذاب بسبب أنّ الله سبحانه وتعالى نزّل الكتب السّماويّة بالحقّ وإنّ الّذين اختلفوا فيها لفى شقاقٍ بعيدٍ وخلافٍ غير سديد ونزاعٍ غير رشيد .

ويختم القسم بآية البرّ أو آية الإيمان الّتى ترتّب فيها حبّات المعانى ترتيباً معجزاً . وتقرّر الآية الكريمة أنّ البرّ ليس تولية الوجه فى الصّلاة قبل المشرق والمغرب فقط ولكنّ البرّ برّ من آمن بالله تعالى وباليوم الآخر . ويلاحظ الاهتمام بالبداية والنّهاية الّذى يعنى الاهتمام بما بينهما ، وبرّ من آمن بالملائكة حملة الوحى إلى المرسلين من البشر ، وبجنس الكتب السّماويّة عماد الوحى السّماوىّ ، وبالنّبيّين الموحى إليهم . وإن البرّ برّ من آتى المال على حبّه ذوى القربى واليتامى وهم من غير ذوى القربى غالباً والمساكين وهم الفقراء اضطراراً بباعثٍ داخلىّ ذاتىّ أو بباعثٍ خارجىّ كعدم وجود فرصة العمل ، ويلاحظ أنّ حاجة اليتامى للمال بسبب الباعث الذّاتىّ وهو العجز عن العمل . ويتأخّر ابن السّبيل فى الذّكر وهو المسافر المنقطع لقلّة حدوث ذلك . وينبغى أن يكون وجود السائلين فى المجتمع السّوىّ أقلّ من كلّ الفئات السّابقة ، ويقلّ عن الجميع الباحثون عن فكّ رقابهم من رقّ العبوديّة لأنّ الإسلام شرّع العتق و لم يشرّع الرّقّ . وهكذا يتبيّن التّرتيب المعجز لهذه الفئات . وتذكر الصّلاة بعد ذلك لأنّها عماد الدّين ويقرن بها الزّكاة على نحو المعتاد فى القرآن الكريم لأنّ الزّكاة عماد الأعمال الماليّة . وينصّ على الوفاء بالعهد ويشمل الوفاء بالعهد مع الله تعالى ابتداءً وفى الوفاء تطبيقٌ لكلّ التّعليمات فى الآية الكريمة . ويخصّ الصّابرون بالذّكر فينصبون على الاختصاص والمدح : ﴿ والصّابرين فى البأساء والضّرّاء وحين البأس ﴾ ويلاحظ ترتيب هذه العناصر وفق الكثرة من ناحيةٍ ووفق الشدّة والقسوة من ناحيةٍ أخرى فالبأساء بمعنى الفقر أكثر من الضّرّاء بمعنى المرض ، والضّرّاء أكثر من الحروب الّتى لا تدوم . وفى المقابل الفقر أقلّ شدّةً من المرض ، والمرض أقلّ شدّةً من القتل . إنّ الّذين يلتزمون بتلك التّعاليم قوام الإيمان هم الّذين صدقوا فى إيمانهم وأولئك هم المتّقون .

فإذا تحوّلنا إلى القسم التّالى وعنوانه : « القصاص والوصيّة » ويشمل الآيـات ١٧٨ — ١٨٢ تبيّنّا أنّ الحديث عن القصاص ذو علاقةٍ من نوعٍ مّا بالحديث فى الآية الكريمة السّابقة عن القتال . ثمّ إنّ الّذى يقتصّ منه فى حكم من حضرته أسباب الوفاة وذلك وقت الإيصاء . والآية الكريمة الأولى تبيّن أنّ الله سبحانه وتعالى قد كتب على الّذين آمنوا القصاص فى القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى . وإنّ فى ذكر الإيمان تنبيهاً إلى أنّ القاتل لا يخلع عنه ثوب الإيمان . إنّ على القاتل الّذى عُفِى له من أخيه شىءٌ وهو دم المقتول الّذى تنازل عنه الورثة إلى قبول الدّية أو العفو أن يؤدّى إلى الورثة الدّية بإحسان كما أنّ على ورثة المقتول أن يتبعوا القاتل بالمعروف فى طلبهم الدّية . إنّه لمّا كان فى اليهود القتل وحده ، وفى النّصارى العفو وحده ، وكان فى الإسلام كلٌّ من أخذ الدّية والعفو كان فى الآية الكريمة النّصّ على التّخفيف من الله تعالى عنّا والرّحمة بنا . وتنذر الآية الكريمة من اعتدى بالقتل بعد أخذ الدّية بالعذب الأليم فى الآخرة وفى الأولى . ويقرّر السّياق أنّ لأولى الألباب حياةً فى القصاص ، وهى حياةٌ كريمة لأنّها تتّسم بالأمن بسبب الخوف من القصاص فيتّقى القتل من سوّلت له نفسه ذلك فيرفرف الأمن على جنبات المجتمع ، وتقود الطّاعة إلى الطّاعة حتّى يصل المرء إلى مرحلة التّقوى . وكما كتب الله سبحانه وتعالى علينا القصاص كتب الوصيّة . والجمهور على أنّ الوصيّة منسوخةٌ بآيات الميراث بخاصّة . والسّياق يقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى فرض علينا إذا حضر أحدنا الموت إنْ ترك مالاً الوصيّة للوالدين والأقربين بالمعروف حقّاً على المتّقين . فمن بدّل الإيصاء من بعد ما سمعه ووعاه فإنّما إثم التّبديل على الّذين يبدّلون الإيصاء . إنّ الله سميعٌ عليم . فمن خاف من موصٍ ميلا إلى الإثم بطريق الخطأ أو بطريق العمد فأصلح بين الموصى والورثة والموصى له فلا إثم عليه . إنّ الله غفورٌ رحيم .

فـإذا تحوّلنـا إلى الـقسم التّـالى وعنوانـه : « صوم رمضان » ويشمـل الآيـات ١٨٢ — ١٨٨ تبيّنّا أنّ الحديث عن الصّيام وهو الرّكن الرّابع من أركان الإسلام يجىء إثر حديث آية البرّ أو الإيمان عن أركان الإسلام الثّلاثة الأول ، الإيمان بالله تعالى وبالرّسل وفى مقدّمتهم خاتم النّبيّين محمّد بن عبد الله ﷺ ، والصّلاة والزّكاة . وسوف تتحدّث

السّورة الكريمة عن الحجّ إلى بيت الله تعالى الحرام وهو الرّكن الخامس من أركان الإسلام . والآية الكريمة الأولى تخاطب الّذين آمنوا بأنّهم قد كُتب عليهم الصّيام كما كُتب على الّذين من قبلهم . ويلاحظ مجىء صيغة المبنى للمجهول مع التكاليف ، الصّيام هنا ، وقبله الوصيّة وهى أشقّ ، وقبلهما القصاص وهو أشقّ من الصّيام والوصيّة ، فثمّة تدرّج لطيف من الصّعب إلى السّهل . كما يلاحظ مجىء التّقوى الّتى ترتبط بالتّكاليف فى ختام هذه الآية الكريمة : ﴿ لعلّكم تتّقون ﴾ وفى ختام آخر الآيات الكريمات الّتى تتحدّث عن الصّيام بطريقٍ مباشر : ﴿ لعلّهم يتّقون ﴾ ومن مظاهر رحمة الله تعالى بالأمّة الإسلاميّة أن نبّهت إلى أنّ الصّيام المفروض عليها قد فرضه الله تعالى على الّذين من قبلها . وتتتابع الرّحمات فى الآيات الكريمات . فالصّيام أيّام معدودات لقلّتها ، ومن كان مريضاً أو على سفرٍ فعدّةٌ من أيّامٍ أُخر ، وعلى الّذى يطيق الصّيام ويستنفد الصّيام كلّ جهده فدية طعام مسكين . ومن تطوّع خيراً فهو خيرٌ له . والصّيام خيرٌ لنا فى كلّ حال والصّيام شهرٌ واحد وهو شهر رمضان الّذى ذُكِر وحده بصريح الاسم فى القرآن الكريم وليس الصّيام بضعة أشهر أو حولاً . وشهر رمضان هو الّذى أنزل فيه القرآن الكريم هدًى للنّاس وبيّنات من الهدى والفرقان . فعلى من شهد الشّهر فى بلده وتوافرت فيه شروط الصّيام أن يصوم . ومن كان مريضاً أو على سفر فعليه عدّةٌ من أيّامٍ أخر . والله سبحانه وتعالى يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر ، ولنكمل عدّة أيّام الشّهر ، ولنكبّر الله سبحانه وتعالى على ما هدانا ولعلّنا نشكر لهَ جل وعلا نعمه وآلاءه . ويصحّ أن يكون الحثّ على إكمال العدّة علّة الأمر بمراعاة العدّة ، والحثّ على التّكبير علّة العلم بكيفيّة الخروج من عهدة الفطر ، والحثّ على الشّكر علّة التّيسير والتّسهيل . وكأنّ المسلم حينما صام نهار رمضان وقام ليله قد شفّت روحه وسمت نفسه للدّرجة الّتى يصحّ معها أن يكون أهلاً لأن يشمله قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم مشيراً إلى عباده جلّ وعلا الّذين أضيفوا إليه إضافة تشريف : ﴿ وإذا سألك عبادى عنّى فإنى قريبٌ أجيب دعوة الدّاعى إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلّهم يرشدون ﴾ وإن رحمات الله تعالى المتتابعة لتتجلّى فى إحلاله جلّ وعلا لعباده الرّفث إلى نسائهم والأكل والشّرب ليالى شهر رمضان

بعد أن كان ذلك محرّماً على من نام أو صلّى العشاء ، وفى ذلك من المشقّة الشّىء الكثير . ويقرّر السّياق أنّ كلاًّ من الزّوج والزّوجة بمثابة اللّباس للآخر ، ويحثّ على طلب الولد ، ويأمر أمر إباحةٍ بالأكل والشّرب حتّى يتبيّن الخيط الأبيض وهو الفجر الصّادق المستطير المنتشر من الخيط الأسود . ولمّا كان الاعتكاف مرتبطاً بشهر رمضان بأكثر من غيره من الأوقات ، وكان المعتكف مختاراً عالمًا بما هو مقبلٌ عليه فقد نُهِى المعتكف عن مباشرة زوجته . ويأمر السّياق كلّ المؤمنين بأن يلتزموا حدود الله تعالى وألاّ يقربوا تلك الحدود فضلاً عن الاعتداء عليها . ولمّا كان الصيّام يعقبه العيد وما يرتبط به من أكلٍ وشرب ولمّا كان المفروض فى المؤمن أن يكون مطعمه حلالاً ومشربه حلالاً فقد كان ثمّة نهىٌ للمؤمنين عن أن يأكل بعضهم أموال بعضٍ بالباطل وأن يدلوا بها إلى الحكّام ليأكلوا فريقاً وجزءاً من أموال النّاس بالإثم وهم يعلمون .

فإذا تحوّلنا إلى القسم التّالى وعنوانه : ﴿ الحجّ إلى بيت الله الحرام ﴾ ويشمل الآيات ١٨٩ ــ ٢٠٣ تبيّنّا أنّ الحديث هنا عن الرّكن الخامس من أركان الإسلام يأتى إثر الحديث عن الرّكن الرّابع من أركان الإسلام وهو صوم شهر رمضان . والملاحظ أنّ الحديث عن الحجّ هنا مستفيضٌ وذلك على غرار الحديث عن الصيّام ، لأنّهما محتاجان لتلك الاستفاضة . وإنّما كان الحديث من قبل ــ ومن بعد كذلك ــ عن الصّلاة والزّكاة مقتضباً لأنّ السّنّة النّبويّة المطهّرة وسعتهما بسبب كثرة دقائقهما . أمّا الإيمان بالله تعالى وهو ركن الإسلام والإيمان الأوّل فإنّ الثّلث الأكبر من القرآن الكريم المتعلّق بالتّوحيد يتحدّث فى هذا الرّكن . وإنّ الثّلثين الآخرين ، القصص والأحكام ، معمّقان لمسألة التّوحيد . ويبدأ السّياق بتقرير سؤال المسلمين المصطفى ﷺ عن الأهلّة واختلاف أشكالها وتلقين المصطفى ﷺ الجواب بأنّها مواقيت للنّاس والحجّ . ويلاحظ العطف الخاصّ للحج على العامّ مواقيت النّاس . ويكون ذكر الحجّ توطئةً للحديث عن بعض متعلّقاته من زاوية ما أدخل العرب قبل الإسلام فيها ما ليس منها وهى أنّ من حجّ أو اعتمر فأحرم يلتزم شرعاً ألا يحول بينه وبين السّماء حائل وأتى بيته من ظهره وتسنّم ظهره كيلا يحول السّقف بينه وبين السّماء . ويقرّر السّياق أنّ البرّ التّقوى وليس هذه الحركة الشّكليّة

ويأمر بإتيان البيوت من أبوابها وبالتقوى لعلّنا نفلح ، وبالقتال فى سبيل الله تعالى لمن قاتلنا وينهى عن الاعتداء فإنّ الله سبحانه وتعالى لا يحبّ المعتدين . أمّا فى حال الاعتداء فى الحرم على المسلمين فالواجب قتال المعتدين وإخراجهم من حيث أخرجوا المسلمين وبخاصّةٍ كفّار مكّة الّذين أخرجوا المصطفى ﷺ والمؤمنين منها مقرّرةً أنّ فتنتهم المسلمين عن دينهم أشدّ من قتل المسلمين لهم . وينهى السّياق عن القتال عند المسجد الحرام فإن قوتل المسلمون عنده قتلوا المعتدين عنده ولا حرج عليهم فى فعل ذلك بالكافرين . فإن انتهوا وكفّوا عن الاعتداء فإنّ الله غفورٌ رحيم أمّا إذا لم ينتهوا فعلى المسلمين أن يقاتلوهم حتّى لا يفتن مسلمٌ عن دينه وحتّى يكون الدّين لله فإنّ انتهى المعتدون فلا عدوان إلاّ على الظّالمين . وإذا كان المشركون لم يراعوا حرمة شهر ذى القعدة الحرام والبلد الحرام والمسلمين المحرمين بقيادة المصطفى ﷺ عام الحديبية وإذا كان المسلمون خشوا أن يقاتلهم المشركون وأن ينتهكوا حرمة شهر ذى القعدة الحرام فى عمرة القضاء سنة سبع فإنّ الله سبحانه وتعالى أذن للمسلمين أن يفعلوا بالمشركين ما يفعلونه بهم وأن يقاتلوهم وفى الوقت ذاته يؤمر المسلمون بتقوى الله تعالى فإنّ الله سبحانه مع المتّقين . ولمّا كان الجهاد يكون بالنّفس وبالمال فقد كان ثمّة حثٌّ على الإنفاق فى سبيل الله تعالى وعلى الجهاد فى سبيل الله تعالى وإلاّ أسلم المسلمون أنفسهم للهلاك بترك الجهاد وعلى المسلمين أن يحسنوا فإنّ الله تعالى يحبّ المحسنين . وقد ارتبط بصلح الحديبية وبالمرض الّذى ألمّ بكعب بن عُجْرة رضى الله عنه فى رأسه فى الحديبية أحكامٌ بيّنها السّياق فأمر بإتمام الحجّ والعمرة فإن أحصر المسلمون بعدوّ أو مرضٍ فعلى المحصر ما استيسر من الهدى وهو شاة على ألاّ يحلق المحصر رأسه حتّى يبلغ الهدى محلّه . فمن كان من الحجّاج أو العمّار مريضاً أو به أذىً من رأسه فحلق فعليه فديةٌ من صيامٍ أو صدقةٍ أو نسك وهو ذبح شاة . فإذا أمن الحاجّ أو المعتمر فمن تمتّع بالعمرة إلى الحجّ فعليه فديةٌ من صيامٍ أو صدقةٍ أو نسك وهو ذبح شاة . فمن لم يجد الهدى لعدم الهدى أو المال فعليه صيام ثلاثة أيّامٍ فى الحجّ وسبعةٍ إذا رجع إلى أهله وبلده ، تلك عشرة أيّامٍ كاملة يصومها من لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام فهم لا شىء عليهم . إنّ من كان أهله حاضرى المسجد الحرام فلا دم عليه

ولا صيام وإن تمتّع . ويأمر السّياق بتقوى الله تعالى ويحذّر من عقابه الشّديد جلّ وعلا . ويبيّن السّياق أشهر الحجّ المعلومات وهى شوّال وذو القعدة وذو الحجة كاملاً أو عشرة أيّام منه على خلافٍ بين العلماء فمن ألزم نفسه بالحجّ فلا يرفث أى لا ينال من زوجه ما ينال منها فى غير الإحرام ولا يفسق أى لا يرتكب المعاصى ولا يخاصم ولا يجادل إلاّ بالّتى هى أحسن وبما فيه خيرٌ وصلاح . وعلى الحاجّ أن يستبق الخيرات وأن يتزوّد للدّنيا من الطّعام وللآخرة من صالح الأعمال وتقوى الله تعالى المأمور بها . وينفى السّياق أىّ ذنبٍ فى جمع الحاجّ بين الحجّ والتّجارة ، فإذا أفاض الحجّاج من عرفات فعليهم أن يذكروا الله تعالى ذكراً كثيراً عند المشعر الحرام بالمزدلفة وأن يذكروه ذكراً كثيراً فى كلّ الأحوال كفاء هدايته لهم وقد كانوا من قبل لمن الضّالّين . وعلى الحجّاج وفيهم القرشيّون ومن لفّ لفّهم ممّن اعتاد أن يقف بالمزدلفة لأنّها من الحرم ، على الحجّاج أن يفيضوا من عرفات وهى من الحلّ بعد أن يقفوا بها وأن يستغفروا الله تعالى الغفور الرّحيم . فإذا قضى الحجّاج مناسكهم وانتهوا إلى منًى وأدّوا مناسك حجّهم عليهم أن يذكروا الله تعالى كذكرهم فى الجاهليّة آباءهم فى أثناء حجّهم بل أشدّ ذكراً فإنّ من النّاس من يسأل الله تعالى خير الدّنيا وحدها وليس له فى الآخرة نصيب . ومن هؤلاء أهل الجاهليّة . ومن النّاس ، ومنهم المسلمون ، من يسأل الله تعالى حسنة الدّنيا وحسنة الآخرة وأن يقيه عذاب النّار . إنّ لأولئك نصيباً ممّا كسبوا من الحسنات والله سريع الحساب . ويأمر السّياق الحجّاج بخاصّة النّاس بعامّة أن يذكروا والله تعالى فى أيّامٍ معدودات هى أيّام التّشريق وهى الحادى عشر والثّانى عشر والثّالث عشر ويقرّر أنّ من تعجّل النّفر من منى فى يومين بعد عيد النّحر فلا إثم عليه ومن تأخّر فنفر بعد اليوم الثّالث فلا إثم عليه شريطة تقوى الله تعالى الّتى يؤمر بها النّاس فإنّهم بعد تفرّقهم من الحجّ فى أرض الله تعالى الواسعة سيحشرون إليه جلّ وعلا يوم القيامة .

فإذا تحوّلنا إلى القسم التّالى وعنوانه : ﴿ مؤمنون ومنافقون وكافرون ﴾ ويشمل الآيات ٢٠٤ ــ ٢١٤ تبيّنّا أنّه يتحدّث ابتداءً عن ذلك الفريق من النّاس الّذى يعجبك أيّها المسلم حديثه عن الحياة الدّنيا المتعلّق بها ويروقك قوله فى هذه الحياة الأولى ولا يعجبك

قوله فى الحياة الأخرى ويشهد الله تعالى على موافقة ما فى قلبه لقوله وهو ألدّ المخاصمين وألدّ الخصام . وإذا ذهب عنك سعى فى الأرض ليفسد فى كلّ مكانٍ حلّ فيه ويهلك الزّرع والنّسل والله لا يحبّ الفساد . وإذا قال ناصحه اتّق الله استحوذت عليه العزّة بسبب الإثم الّذى يرتكب فكافيه معاقبةً جهنّم ولبئس المهاد والفراش جهنّم . وفى مقابل هذا المنافق هنالك المؤمن الّذى يبيع نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى . والله سبحانه وتعالى رءوفٌ بالعباد . ويأمر السّياق الّذين آمنوا بأن يدخلوا فى السّلم كافّةً وأن يقبلوا كلّ تعاليم الإسلام وبألا يتّبعوا خطوات الشّيطان البيّن العداوة لهم . فإن زلّت — لا سمح الله — النّعل بالمسلمين وحادوا عن الصرّاط المستقيم فليعلموا أنّ الله سبحانه وتعالى هو العزيز فى ملكه الّذى لا يعجزه شىءٌ الحكيم فى صنعه . وإنّ أولئك الكافرين هل ينتظرون من شىءٍ سوى أن يأتيهم يوم القيامة الله تعالى فى ظللٍ من الغمام وملائكة العذاب الّتى تذيقهم صنوف العذاب ، ولتحقّق كل ذلك يجىء القول : ﴿ وقضي الأمر وإلى الله تُرجع الأمور ﴾ ومن هؤلاء الكافرين بنو إسرائيل الّذين يأمر السّياق المصطفى ﷺ أن يسألهم فى هيئة التّقرير والتّبكيت كم آتاهم الله تعالى من آيةٍ بيّنة ومع ذلك بدّلوا نعمة الله تعالى كفراً وإنّ من بدّل نعمة الله تعالى من بعد ما جاءته فإنّ الله سبحانه وتعالى شديد العقاب . وإنّ أولئك الكافرين قد زيّنت لهم الحياة الدّنيا وهم يسخرون من الّذين آمنوا والّذين اتّقوا فوق أولئك الكافرين يوم القيامة فى الجنّة الّتى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر . والله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب . ويبيّن السّياق رحلة الصرّاع بين الإيمان والكفر الحقّ والباطل فيقرّر أنّ النّاس كانوا أمّةً واحدةً مؤمنةً فاختلفوا فبعث الله النّبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم ذلك الكتاب بين النّاس فيما اختلفوا فيه . والعجيب فى الأمر أنّ الّذين اختلفوا فى الكتاب هم الّذين أوتوه ومن بعدما جاءتهم البيّنات بسبب البغى بينهم فهدى الله تعالى الّذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقّ بإذنه تعالى بسبب صدق نواياهم والله تعالى يهدى من يشاء إلى صراطٍ مستقيم . وينكر السّياق على المؤمنين أن يظنّوا أنّهم يدخلون الجنّة قبل أن يأتيهم مثل الّذين خلوا من قبلهم وقبل أن يصل إليهم نبأ المؤمنين السّابقين الصّادقين فى جهادهم

فى سبيل الله تعالى الّذين ذاع ماجرى لهم وجرى مجرى المثل حينما أصابتهم البأساء من فقرٍ وما أشبهه ، والضّراء من مرضٍ وما أشبهه ، وحينما ابتلوا وزلزلوا حتّى يقول الرّسول والّذين آمنوا معه وقد استبطأوا النّصر : متى نصر الله ؟ ويكون الجواب الّذى فيه تسليةٌ غير مباشرةٍ للمصطفى ﷺ وللمؤمنين : ﴿ ألا إنّ نصر الله قريب ﴾ .

فإذا تحوّلنا إلى القسم التّالى وعنوانه : ﴿ يسألونك وبعض أحوال الزّواج ﴾ ويشمل الآيات ٢١٥ — ٢٤٢ تبيّنّا أنّه يكاد يكون أكبر أقسام السّورة الكريمة ، إذ تغطّى دراسته المتأمّلة زهاء الثّلاثمائة من الصّفحات ويبدأ بتقرير سؤال المسلمين المصطفى ﷺ ماذا ينفقون ويوصف المنفق بأنّه خير ، ويكون ثمّة تفصيلٌ للمنفق عليهم وترتيبٌ لهم بناءً على الأقرب فالأقرب وهم الوالدان والأقربون واليتامى والمساكين : ﴿ وما تنفقوا من خيرٍ فإنّ الله به عليم ﴾ كما يقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى كتب علينا القتال وهو كرهٌ لنا وعسى أن نكره شيئاً وهو خيرٌ لنا وعسى أن نحبّ شيئاً وهو شرٌّ لنا والله يعلم ونحن لا نعلم . ومعروفٌ أنّ عسى من الله تعالى إيجاب . ويقرّر السّياق كذلك أنّ المسلمين سألوا المصطفى ﷺ عن القتال فى الشّهر الحرام وكان الجواب بأن القتال فيه كبير وذنبه عظيم . وهذا السؤال يتعلّق بقتل المسلمين بطريق الخطأ واحداً من المشركين فى غرّة شهر رجبٍ الحرام ظنّاً منهم أنّه آخر يومٍ من جمادى الآخرة . ولكنّ المشركين ارتكبوا فى حقّ المسلمين ذنباً أكبر حينما صدّوا عن سبيل الله تعالى وكفروا بالله تعالى وصدّوا عن المسجد الحرام وأخرجوا أهله منه . وإنّ فتنة المشركين للمسلمين عن دينهم أكبر من قتل المسلمين لهم فى الأشهر الحرم بطريق الخطأ . ويقرر السّياق أنّ الكافرين لا يزالون يقاتلون المسلمين حتّى يردّوا المسلمين عن دينهم إن استطاع الكافرون ذلك : ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾ ويحذّر السّياق المسلمين بأنّ من يرتدّ عن دينه ويمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم الصّالحة فى الدّنيا والآخرة وأولئك أصحاب النّار يخلدون فيها . ولمّا كان كلّ أفراد السّريّة الّتى قتلت مشركاً بطريق الخطأ فى شهر رجب من المهاجرين فقد جاء فى الآية الكريمة التّالية الثّناء عليهم من ربّهم البرّ الرّحيم : ﴿ إنّ الّذين آمنوا والّذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله . والله غفورٌ رحيم ﴾ ويقرّر السّياق أنّ

المسلمين سألوا المصطفى ﷺ عن الخمر والميسر وكان الجواب من ربّ العباد فى هيئة الأمر له ﷺ أن يقول للمسلمين بأنّ فى الخمر والميسر إثماً كبيراً وذنباً عظيماً ومنافع للنّاس ولكنّ إثمهما أكبر من نفعهما بسبب ما يؤدّيان إليه من إيقاعٍ للعداوة والبغضاء بين المسلمين وبسبب صدّهما للمسلمين عن ذكر الله تعالى وعن الصّلاة كما يقرّر السياق أنّ المسلمين يسألونه ﷺ : ﴿ ماذا ينفقون ﴾ . ويكون الجواب : ﴿ قل العفو ﴾ بمعنى انفقوا العفو أى ما فضل عن أهلكم . كذلك يبيّن الله تعالى لنا آياته لعلّنا نتفكّر فى الدّنيا والآخرة فنحبس من أموالنا ما ينفعنا فى الآخرة . ويسأل المسلمون المصطفى ﷺ عن اليتامى ويكون الجواب بأنّ إصلاحاً لهم خير ، وإن يخالطهم المسلمون فاليتامى إخوانهم . والله سبحانه وتعالى يعلم المفسد من المصلح وسيجازى كلاًّ وفق نيّته وعمله . ولو شاء الله سبحانه وتعالى المشقّة والعنت بنا لفعل فمنعنا من أن نخلط طعام اليتامى مثلاً بطعامنا . إنّ الله سبحانه وتعالى هو العزيز فى ملكه الحكيم فى صنعه . وينهى السّياق المسلمين عن أن ينكحوا المشركات حتّى يؤمنّ ويقرّر أن الأمة المؤمنة خيرٌ من المشركة ولو أعجبتنا المشركة ، كما ينهانا السّياق عن أن نُنْكِح المشركين وأن نزوّجهم المسلمات حتّى يؤمنوا ويقرّر أنّ العبد المؤمن خيرٌ من المشرك ولو أعجبنا منظره . إنّ المشركين يدعون إلى النّار والله سبحانه وتعالى يدعو إلى الجنّة والمغفرة بإذنه ويبيّن آياته للنّاس لعلّهم يتذكّرون ويتّعظون . ويسأل المسلمون المصطفى ﷺ عن المحيض . ويقرّر الجواب أنّ المحيض أذىً ويأمرنا بأن نعتزل النّساء فى المحيض وينهانا عن الاقتراب منهنّ حتّى يتطهّرن . فإذا تطهّرن أتيناهنّ من حيث أمرنا الله تعالى الّذى يحب التّوّابين ويحبّ المتطهّرين . إنّ نساءنا حرثٌ لنا فمن حقّ الزّوج أن يأتى زوجته فى قبلها فى أى وضعٍ شاء ، على أنّا مأمورون بأن نقدّم لأنفسنا وأن ندعو الله سبحانه وتعالى بين يدى الاتّصال بزوجاتنا أن يجنّبنا الشّيطان وأن يجنّب الشّيطان ما رزقنا من الولد . ويأمرنا السّياق بأن نتّقى الله تعالى الّذى سنلاقيه ويبشّر المؤمنين بالثّواب الجزيل . وينهانا السّياق أن نجعل الحلف بالله تعالى علّةً مانعةً لنا ومعترضةً طريقنا فى سبيل البرّ والتّقوى والإصلاح بين النّاس . إنّ الأفضل التكفير عن اليمين وعمل الصّالحات الّتى لا تخفى على السّميع العليم . وإنّ ذكر اليمين رشّح

لتبيين الحكم بأنّ الله سبحانه وتعالى لا يؤاخذنا باللّغو فى أيماننا ولكن يؤاخذنا على الإيمان الّتى تعمّدتها قلوبنا والله غفورٌ رحيم ، كما رشّح للحديث عن الّذين يؤلون من نسائهم ويحلفون ألاّ يقربوهنّ ولتبيين الحكم . إن للّذين يؤلون من نسائهم تربّص أربعة أشهر فإن فاءوا وجامعوا زوجاتهم فإنّ الله غفورٌ رحيم . وإن عزموا على الطّلاق فإنّ الله سبحانه وتعالى سميعٌ عليم . ويتحوّل السّياق للحديث فى شئون الطّلاق والنّساء فيقرّر أنّ على المطلّقات أن يتربصن بأنفسهنّ ويتصبّرن عن الزّواج ثلاثة قروء ، والقرء بمعنى الطّهر أو الحيض على اختلافٍ بين العلماء ولا يحلّ للمطلّقات أن يكتمن ما خلق الله سبحانه وتعالى فى أرحامهنّ من الولد أو دم الحيض إن كنّ يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر فإنّهنّ مؤتمنات على ما يقلن ويقدّمن من معلومات . وبشأن المطلّقة طلاقاً رجعيّاً بعولتهنّ أحقّ بردّهنّ فى أثناء العدّة إن أراد الأزواج إصلاحاً وليس المضارّة ، أمّا بعد انقضاء العدّة فالزّوج المطلّق واحدٌ من الخطّاب . وللنّساء مثل الّذى عليهنّ للرّجال بالمعروف . وللرّجال عليهنّ درجة ، هى درجة القِوامة . والله عزيزٌ حكيم . ويقرر السّياق أنّ الطّلاق الّذى فيه رجعةٌ للزّوجة مرّتان ، وبعد ذلك إمساكٌ للزّوجة بمعروفٍ أو تسريحٌ لها بإحسان . ولا يحلّ للأزواج أن يأخذوا ممّا آتوا زوجاتهم من المهر شيئاً إلاّ أن يخاف الزّوجان ألا يقيما حدود الله . فإن خاف الأولياء أو الحكّام ألاّ يقيم الزّوجان حدود الله تعالى فلا جناح على الزّوج والزّوجة فيما افتدت به نفسها وهو ما يسمّى بالخُلْع تلك حدود الله تعالى الّتى لا يصحّ لعبدٍ من عباد الله تعالى أن يتعدّاها وإلاّ كان من الظّالمين . فإنْ طلّق الزّوج زوجته للمرّة الثّالثة والأخيرة فلا تحلّ له من بعد تلك التّطليقة الثّالثة حتّى تنكح زوجاً غيره يذوق عسيلتها وتذوق عسيلته . فإن طلّقها الزّوج الآخر فلا جناح على الزّوجة وزوجها الأوّل أن يتراجعا إن غلب على ظنّهما أنّهما سيُقيمان حدود الله تعالى الّتى بيّنها جلّ وعلا لقومٍ يعلمون . وإذا طلّق الرّجال النّساء وأوشكن أن يبلغن أجلهنّ وتنقضى عدّتهنّ فعلى الرّجال أن يمسكوهنّ بمعروفٍ أو يسرّحوهنّ بمعروف . ويُنهَى الأزواج عن أن يمسكوا بزوجاتهم بقصد إلحاق الضّرر بهنّ والاعتداء عليهنّ . إنّ من يفعل ذلك فقد ظلم نفسه . وينهى السّياق المسلمين

عن أن يتّخذوا آيات الله تعالى مهزوءًا بها ويأمرهم بأن يذكروا نعمة الله تعالى عليهم وما أنزل عليهم من كتاب الله تعالى وسنّة المصطفى ﷺ . إنّ الله سبحانه وتعالى يعظنا بالقرآن الكريم الّذى بيّنت سنّة المصطفى ﷺ معناه ، ويأمرنا بأن نتّقيه جلّ وعلا وأن نكون على علمٍ بأنّ الله سبحانه وتعالى بكلّ شيءٍ عليم . ويُنْهَى أولياء أمور المطلّقات اللاّتى يحقّ لهنّ الرّجعة إلى أزواجهنّ عن منع الزّوجات من العودة إلى أزواجهنّ إذا تراضوا بينهم بالمعروف . إنّ النّهى عن المنع يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وإنّ ترك المنع للزّوجات أزكى لنا نحن المسلمين وأطهر بسبب ما بين الزّوج وزوجه من مودّة ورحمة . إنّ الله سبحانه وتعالى يعلم ونحن لا نعلم . وبما أنّ الهدف الحقيقىّ للزّواج هو الذّريّة فإنّ السّياق يتحوّل إلى الأولادِ فيأمر الوالدات بأن يرضعن أولادهنّ عامين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرضاعة من الوالدين . ويلزم المولود له وهو الوالد أن يطعم الزّوجة ويكسوها بالمعروف وبما هو فى حدود وسعه . إنّ الوالدة لا تضارّ بولدها وإنّ الوالد لا يضاره بولده . فإن مات المولود له وجب على وارثه أن يرزق الزّوجة ويكسوها بالمعروف كما لو كان المولود حيّاً يرزق . فإن أراد الأبوان فطاماً للطّفل عن تراضٍ منهما وتشاورٍ فلا جناح عليهما . وإن أراد الآباء أن يسترضعوا المراضع لأولادهم فلا جناح عليهم إذا سلّموا للمراضع ما أعطوهنّ من أجْرٍ بالمعروف شرعاً وعقلاً . ويأمر السّياق بتقوى الله تعالى وبالعلم بأنّ الله سبحانه وتعالى بصيرٌ بما نعمل . فإذا توفّى الزّوج وترك زوجته على ذمّته وجب عليها أن تتربّص أربعة أشهرٍ وعشراً وأن تتصبّر عن الزّينة والخروج والتّعرّض للخطاب . فإذا بلغن أجلهنّ وانقضت عدّتهنّ فلا جناح عليكم أيّها الأولياء فيما فعلن فى أنفسهنّ بالمعروف شرعاً وعقلا . والله خبيرٌ بما نعمل جميعاً . ولا جناح على الراغبين فى نكاح المتوفى عنها زوجها ويلحق بها البائنة بينونة كبرى فيما عرّضوا به من خطبة النّساء دون تصريحٍ بالخطبة أو أخفوا الرّغبة فى الزّواج بهنّ . إنّ الله سبحانه وتعالى يعلم أنّ الرّاغبين فى خطبتهنّ سيذكرونهنّ ولا ضير ، ولكن لا تواعدوهنّ سرّاً ولا تكلّموهنّ صراحةً فى الزّواج أو تتّفقوا معهنّ على الزّواج إلاّ أن تقولوا قولاً معروفاً وهو التلميح دون التّصريح والتّعريض دون القول الواضح الصّريح . وينهى السّياق الرّاغبين فى

الخطبة عن أن يتزّوجوا النّساء حتّى تنتهى عدّتهنّ . وعلينا أن نعلم أنّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما فى أنفسنا فعلينا أن نحذره وأن نعلم أنّ الله سبحانه وتعالى غفورٌ حليم . ولا جناح على الأزواج أن يطلّقوا زوجاتهم قبل المسيس وقبل فرض المهر على أن يمتّعوهنّ بما تجود به أنفسهم من مال حسب الطّاقة . إنّ ذلك التّمتيع حقٌّ للمطلّقات على المحسنين من الأزواج . وإن طلّق الأزواج زوجاتهم قبل المسيس وبعد فرض المهر فلهنّ نصف المهر إلاّ أن يعفو الزّوجات للأزواج عن حقّهنّ فى نصف المهر أو أن يعفو الأزواج عن حقّهم فى النصف الآخر من المهر . وثمّة حثٌّ على العفو ونهىٌ للأزواج أن ينسوا الفضل بينهم وقد أفضى بعضهم إلى بعض والله سبحانه وتعالى بصيرٌ بما نعمل . وبما أنّ الزّوجين بخاصّة قد هبّت عليهما أعاصير الحياة فما أشدّ حاجتهما لأن يكونا أشدّ قرباً من الله تعالى ، وهنا يتحوّل السّياق إلى الأمر بالمحافظة على الصّلوات وبخاصّةٍ الصّلاة الوسطى الّتى يرجح أنّها صلاة العصر إذ المعروف أنّ العبد أقرب ما يكون من الله تعالى وهو ساجد ، وإلى الأمر بأن نقوم لله تعالى قانتين فى الصّلاة . فإن خاف المسلمون العدوّ صلّوا رجالاً أو ركباناً . فإذا أمن المسلمون عليهم أن يذكروا الله تعالى كما علّمهم ما لم يكونوا يعلمون . وتأتى الآية الكريمة المنسوخة الّتى تأمر بالوصيّة للمرأة المتوفّى عنها زوجها فتقرّر أنّ الّذين يتوفّون من الأزواج ويذرون وراءهم زوجاتٍ على ذمّتهم قد فرض الله سبحانه وتعالى للزّوجات متاعاً إلى الحول فى مجال الرّزق وغيرِ مخرجات من سُكْناهنّ . فإن خرجن فلا إثم عليكم أيّها الأولياء فيما فعلن فى أنفسهنّ من معروفٍ شرعاً وعقلاً والله عزيزٌ فى ملكه حكيمٌ فى صنعه . إنّ للمطلّقات متاعاً بالمعروف شرعاً وعقلاً حقّاً فرضه الله تعالى لهنّ على المتّقين من الأزواج . وتختم آيات القسم بالقول : ﴿ كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلّكم تعقلون ﴾ .

فإذا تحولنا إلى القسم التّالى وعنوانه : ﴿ بنو إسرائيل الحريصون على حياة ﴾ ويشمل الآيات ٢٤٣ ــ ٢٥٢ وبه يختم الجزء الثّانى من سورة البقرة الكريمة ، تبيّنّا أنّه يتحدّث عن الّذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ خوفاً من الموت فى ميدان القتال . ويرجح أنّ الحديث هنا عن بنى إسرائيل على غرار الآيات التّالية فى هذا القسم . ويبدأ

السّياق بسؤال المصطفى ﷺ : ﴿ ألم تر إلى الّذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم ﴾ لقد فرّوا من الموت فأماتهم الله تعالى القادر على كلّ شيءٍ ثمّ أحياهم دليلاً على البعث . إنّ الله سبحانه وتعالى ذو فضلٍ على النّاس ومنهم أولئك الّذين أحياهم الله تعالى ولكنّ أكثر النّاس لا يشكرون . وإنّ نكوص القوم عن الجهاد فى سبيل الله تعالى مناسبةٌ طيّبةٌ لأمر المسلمين بالقتال فى سبيل الله تعالى السّميع العليم ، وبالإنفاق فى سبيل الله تعالى . وينزّل السّياق ما ينفق فى سبيل الله تعالى منزلة القرض الّذى يضاعفه الله تعالى القابض الباسط أضعافاً كثيرة ، وحينما يتحدّث السّياق صراحةً عن بنى إسرائيل يبدأ كسابقه بسؤال المصطفى ﷺ : ﴿ ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى ﴾ ويقرّر السّياق أنّ الملأ وهم الخاصّة قالوا لنبىٍّ لهم ، وما أكثر أنبياء بنى إسرائيل بسبب كثرة عللهم ، ابعث لنا ملكاً نقاتل تحت رايته فى سبيل الله تعالى . وقال النّبى لهم لعلّكم إن كُتِب عليكم القتال وفُرِض عليكم الجهاد ألاّ تقاتلوا وألا تجاهدوا فى سبيل الله تعالى . قالوا وما الّذى يمنعنا من أن نقاتل فى سبيل الله تعالى وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا . فلمّا كتب الله سبحانه وتعالى عليهم القتال أعرضوا إلاّ قليلاً منهم . والله عليمٌ بالظّالمين . وقال النّبىّ لذلك القليل إنّ الله سبحانه وتعالى قد أرسل لكم طالوت ملكا . قالوا كيف يكون له الملك علينا ونحن أحقّ بالملك منه لأنّه ليس من بيت الملك وفقير . قال لهم نبيّهم إنّ الله تعالى اصطفاه ملكاً عليكم وزاده بسطةً فى العلم والجسم ، والله سبحانه وتعالى الواسع العليم يؤتى ملكه من يشاء . وهكذا يتبيّن تعنّت بنى إسرائيل دائماً وأبداً . واستمرّ النّبىّ قائلاً إنّ آية ملك طالوت لكم وأنتم الّذين لا تؤمنون إلاّ بالآيات المادّيّة أن يأتيكم التّابوت فيه سكينةٌ لكم من ربّكم وفيه بقيّة ممّا ترك آل موسى وآلِ هارون عليهما السّلام تحمله الملائكة . وإنّ فى ذلك لآيةً للقوم إن كانوا مؤمنين . وأخيراً آمن القوم . فلمّا انطلق طالوت بالجنود وشكوا العطش قال إنّ الله تعالى مختبر صبركم بنهر فمن شرب من ماء النّهر فليس منّى وليس من أصحابى وجندى ومن لم يذقه فإنّه منّى إلاّ من اغترف غرفةً بيده . فشرب القوم منه إلاّ قليلاً منهم وهم الّذين لم يطعموه أو اغترف الواحد منهم غرفةً بيده . فلمّا جاوز طالوت هو والّذين آمنوا معه

وأطاعوه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وهكذا ما بقى من الّذين أطاعوه إلاّ القليل الّذين صبروا عن الماء وصبروا على الجهاد فى سبيل الله تعالى وأيقنوا أنّهم ملاقو الله تعالى وقالوا : ﴿ كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله . والله مع الصّابرين ﴾ وهؤلاء الصّابرون كانوا قريبين من الله تعالى لهذا هم حينما : ﴿ برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربّنا أفرغ علينا صبرا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم بإذن الله وقتل داودُ جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه ممّا يشاء ﴾ ويقرّر السياق أنّ الله سبحانه وتعالى لو لم يدفع الكافرين بالمؤمنين لفسدت الأرض ولكنّ الله سبحانه وتعالى ذو فضلٍ على المؤمنين . إنّ تلك الآيات آيات الله تعالى يتلوها جلّ وعلا على المصطفى بالحقّ . ويختم الجزء بمخاطبة المصطفى ﷺ بالقول : ﴿ وإنّك لمن المرسلين ﴾ .

فإذا تحوّلنا إلى القسم التّالى الّذى يبدأ به الجزء الثّالث من المصحف الشّريف وعنوان هذا القسم : « تفضيل الله تعالى بعض الرّسل والدّعوة إلى التّوحيد والأدلة على البعث » ويشمل الآيات ٢٥٣ ــ ٢٦٠ تبيّنا أنّ أولى آياته الكريمات ذات علاقة وثيقةٍ بما جاء فى آخر الآية الكريمة السّابقة خطاباً للمصطفى ﷺ : ﴿ وإنك لمن المرسلين ﴾ إذ تقرّر الآية الكريمة الأولى فى الجزء أنّ تلك الرّسل الّتى قصّ الله سبحانه فى هذه السّورة الكريمة علينا قد فضّل الله تعالى بعضهم على بعض فموسى عليه السّلام كليم الله وعيسى ابن مريم آتاه الله تعالى البيّنات وأيّده بجبريل عليه السّلام ويتوسّط هذين الرّسولين الكريمين فى الذّكر واسطة العقد الّذى رفعه درجات ، وفى رأى الجمهور أنّه محمّد بن عبد الله ﷺ . وتقرّر الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى لو شاء ما اقتتل الأتباع من بعدما جاءتهم البيّنات ولكنّهم اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر واقتتلوا ولو شاء الله لم يقتتلوا ولكنّ الله جلّ وعلا يفعل ما يريد لحكمة . ويؤمر المؤمنون بأن ينفقوا ممّا رزقهم الله تعالى من قبل أن يأتى يوم القيامة الّذى لا فداء فيه ولا صداقة ولا شفاعة والكافرون هم الظّالمون . وتأتى إثر ذلك آية الكرسىّ سيّدة آى الذّكر الحكيم لاشتمالها على التّوحيد فتقرّر أنّ الله سبحانه لا إلٰه إلاّ هو وهو الحىّ الّذى لا يموت القيّوم المبالغ فى القيام بتدبير خلقه الّذى لا يأخذه نعاسٌ ولا نوم والّذى له ما فى السّماوات ما فى الأرض ملكاً وخلقاً وعبيدًا والّذى لا يشفع

أحدٌ عنده إلاّ بإذنه تعالى والّذى يعلم ما بين أيديهم من أمور الدّنيا وما خلفهم من أمور الآخرة ولا يحيط الخلائق بشىءٍ من علمه تعالى إلاّ بما شاء . وسعت قدرته السّماوات والأرض ولا يثقله حفظ السّماوات والأرض وهو العلىّ العظيم سبحانه . ومع أنّ آية الكرسىّ سيّدة آى القرآن الكريم محورها توحيد الله تعالى الّذى بعث الله تعالى من أجله رسله ابتداءً بنوحٍ وانتهاءً بمحمّد عليهما الصّلاة والسّلام ومع أنّ دين الإسلام الّذى بعث الله تعالى به رسله انتهاءً بمحمّد ﷺ هو الدّين الحقّ فإنّ الآية الكريمة تقرّر أنّه لا إكراه فى الدّين لأنّ الدّين اعتقادٌ بالقلب ولا سلطة لمخلوقٍ على قلب مخلوقٍ آخر ولأنّه قد تبيّن الرّشد من الغىّ فمن يكفر بالطّاغوت وهو كلّ من يعبد من دون الله تعالى ويرضى بذلك والشّيطان فقد تمسّك بالعروة الّتى لا انفصام لها ولا قطع لها والله سميعٌ لما يقال عليمٌ بما يفعل . إنّ من استمسك بالعروة الوثقى فالله تعالى وليّه يخرجه دائماً من الظّلمات إلى النّور بعكس الكافرين الّذين أولياؤهم الطّاغوت فهؤلاء يخرجونهم من النّور إلى الظّلمات وأولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون . ويتحوّل السّياق إلى علمٍ من أعلام الهدى الّذى حاجّه فى ربّه جلّ وعلا كافرٌ من أولياء الطّاغوت . أمّا علم الهدى فإبراهيم عليه السّلام وأمّا الكافر فالنُّمروذ ملك بابل . إنّ إبراهيم عليه السّلام فى دعوته النّمروذ إلى الله تعالى يقول له : ﴿ ربّى الّذى يحيى ويميت ﴾ وجاء على لسان الطّاغية القول : ﴿ أنا أحيى وأميت ﴾ فعفا عن شخصٍ وقتل شخصاً آخر . وهكذا تحدّث إبراهيم عن حقيقة الحياة والموت وهكذا فرّ الطّاغية إلى مجاز الحياة والموت فتحوّل إبراهيم عليه السّلام إلى آيةٍ أخرى كبرى من آيات الله تعالى ليس فيها فرصةٌ للطّاغية كى يفرّ من حقيقتها إلى مجازها : ﴿ قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشّمس من المشرق فأت بها من المغرب فبُهت الّذى كفر ﴾ وهكذا تحيّر الكافر وتبلّد وانعقد لسانه والله لا يهدى القوم الظّالمين من أمثال النّمروذ . ويتحوّل السّياق إلى شخصٍ آخر كأنّه استعظم عودة الحياة إلى سكّان قريةٍ خاويةٍ على عروشها مرّ عليها : ﴿ قال أنّى يحيى هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عامٍ ثمّ بعثه . قال كم لبثت ؟ قال لبثت يوماً أو بعض يومٍ ﴾ وكان آخر عهده بالشمس صباحاً وأوّل عهده بها مساءً فظنّ أنّ الشّمس لنهارٍ واحد ويبيّن السّياق الأدلّة للمستبعد

للبعث حتّى آمن وقال : ﴿ أعلم أنّ الله على كل شيءٍ قدير ﴾ إنّ طعام الرّجل وشرابه لم يتغيّرا ، وإنّ حماره قد غدت عظامه أشلاء متفرّقة ، وها هو ذا يرى حماره وقد تجمّعت أوصال عظامه المتفرّقة والتأمت وكمل بها شكل الحمار وكسى الله تعالى العظام لحماً وعادت إليه الحياة ونهق بعد أن نفق . وكما كان الحمار آيةً دالّة على البعث فى حقّ المارّ على القرية ، كان الرّجل ذاته آية دالّةً للخلائق على البعث والنّشور ، الحساب فالجزاء . وإنّ إبراهيم عليه السّلام الّذى آتاه الله تعالى رشده من قبل والّذى آمن بالدّليل برهاناً أراد أن يرقى إلى مستوى الإيمان بالدّليل عِياناً فها هو ذا يسأل الله سبحانه وتعالى أن يريه كيف يحيى الموتى كى يطمئنّ قلبه . وأمره الله سبحانه وتعالى أن يأخذ أربعةً من الطّير وأن يميلهنّ إليه ويتأمّلهنّ ويذبحهنّ ويخلط أجزاءهنّ ويجعل على كلّ جبلٍ منهنّ جزءاً وأن يدعهنّ إليه ممسكاً برءوسهنّ فيأتين إليه مسرعاتٍ مشياً على أقدامهنّ دليلاً على قدرة القادر على كلّ شيءٍ وليس طائراتٍ بأجنحتهنّ . ويعلم إبراهيم عليه السّلام أنّ الله سبحانه وتعالى هو العزيز فى ملكه الحكيم فى صنعه .

فإذا تحوّلنا إلى القسم التّالى وعنوانه : « الحثّ على الإنفاق فى سبيل الله تعالى وشروطه وثوابه » ويشمل الآيات ٢٦١ ـــ ٢٧٤ تبيّنّا عناية السّورة الكريمة فى آخرها بالمال ووجوه إنفاقه وبعض شئونه . ويقرّر السّياق ابتداءً مثل الّذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله تعالى بأنّه كمثل حبّةٍ من قمح أو شعيرٍ أو ما شاكل ذلك أنبتت سبع سنابل فى كلّ سنبلةٍ مائة حبّة ، فالحسنة بعشر أمثالها كما جاء فى سورة الأنعام إلى سبعمائة ضعف كما جاء هنا والله يضاعف لمن يشاء الثّواب وهو الواسع العليم شريطة أن يكون الإنفاق فى سبيل الله تعالى وفى ضوء تعاليم الإسلام وشريطة ألاّ يتبع المنفق ما أنفق منّاً ولا أذى . إنّ هذا الفريق المنفق ماله على هذا النّحو لا خوفٌ عليه فى الآخرة ولا يحزن على هذه الدّنيا لأنّ الآخرة خيرٌ له من الأولى . ويبيّن السّياق أنّ القول المعروف للسّائل وغفران إلحافه فى السّؤال خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أذىً والله سبحانه وتعالى غنّى عن الخلق حليم لا يؤاخذ المذنبين سريعاً بل يمهل جلّ ولكنّه لا يهمل . وينهى السّياق الّذين آمنوا عن إبطال صدقاتهم بالمنّ والأذى إبطالاً كإبطال الّذى ينفق ماله مراءة النّاس بينما هو لا يؤمن

بالله ولا باليوم الآخر . إنّ مثل هذا المرائى غير الموصول القلب بالله تعالى كمثل حجرٍ أملس عليه ترابٌ فالتّراب غير موصولٍ بالتّربة الجيّدة ، وقد أصاب هذا الحجر الأملس مطرٌ شديد ذهب بذلك التّراب فظهر ذلك الحجر الأملس على حقيقته وكذلك المنافق غير الموصول القلب بالله تعالى جعل الله سبحانه وتعالى عمله الصّالح ظاهراً هباءً منثوراً لأنّه ما أراد بذلك العمل وجه ربه الأعلى فما قدر المنافق على شيءٍ ممّا كسب ولا نال على صالح عمله ثواباً لأنّه غير خالصٍ لله تعالى . والله سبحانه وتعالى لا يهدى القـوم الكافرين . وفى مقابل المثل لذلك المرائى يضرب المثل للمنفقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله تعالى وتثبيتاً من أنفسهم لهم وهى الّتى يخرج منه بالكلّيّة المال الّذى تنفق فى سبيل الله تعالى قبل أن يخرج من أيدى أصحابها لأنهّا أنفسٌ مطمئنّة على يقينٍ بأنّ المال مال الله تعالى استخلفها فيه فهى نفوسٌ تسخو بالمال لطيبها وتجود بما تنفق لطيب أرومتها ونقاء معدنها .

إنّ مثل الواحد المنفق ماله فى سبيل الله تعالى كمثل جنّةٍ بربوةٍ عالية أصابها مطرٌ شديد فآتت أُكُلها وثمرها مثلى أكل مثيلاتها من الرّبوات فإنّ لم يصب الرّبوة مطرٌ أصابها طلٌّ فكفاها وأغناها . إنّ الله سبحانه وتعالى بصيرٌ بما نعمل . وفى أسلوب الاستفهام الإنكارى يسأل السّياق الواحد منّا أيحبّ أن تكون له جنّة من نخيل وأعناب تتدفّق فيها الأنهار وله فيها من كلّ الثّمرات وأصابه الكبر فقد أفنى شبابه فى جنّته ، وله ذرّيّةٌ ضعفاء فأصاب تلك الجنّة الّتى تعتبر رأس ماله كاملاً ، فأصابها إعصارٌ فيه نارٌ فاحترقت الجنّة وغدت أثراً بعد عين . إنّ الجواب بالنّفى معروف والمراد ألاّ يفسد المرء أعماله الصّالحة بالمعاصى وبخاصّةٍ فى نهاية عمره . إنّ الله سبحانه وتعالى يبيّن لنا آياته فى مثل هذه الطّرائق لعلّنا نتفكّر .

ويأمر السّياق الّذين آمنوا بأن ينفقوا من طيّبات ما كسبوا وممّا أخرج الله سبحانه وتعالى لهم من الأرض من نباتٍ ومعادن ، كما ينهى الّذين آمنوا عن أن يختاروا غير الجيد من مالهم كى ينفقوا منه لأنّ هذا المال الرّدىء غير الجيّد لو أعطى لهم لقبلوه على مضض فعلى المنفق أن ينفق ممّا يحبّ لنفسه وممّا يحبّ أن يعطى له وليعلم أنّ الله سبحانه وتعالى غنىٌّ حميد .

إنّ الشّيطان الرّجيم يعد المنفقين فى سبيل الله تعالى الفقر ، والله سبحانه وتعالى يعد المنفقين فى سبيله جلّ وعلا مغفرةً منه تعالى وفضلاً : ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ إن الله

سبحانه وتعالى هو الواسع الحكيم ، وهو الّذى يؤتى الحكمة من يشاء وإنّ من أوتى الحكمة فقد آتاه الله تعالى خيراً كثيراً ، وإنّ من تذكّر فاتّعظ هو الّذى آتاه الله سبحانه وتعالى عقلاً راجحاً ولبّاً حصيفاً واعياً . إنّ ما أنفقنا من نفقة أو نذرنا من نذرٍ فإنّ الله سبحانه وتعالى يعلمه وليس للظّالمين من أنصار . ونحن إن أبدينا الصّدقات فنعم شيئاً هى ، وإن أخفيناها وآتيناها الفقراء فهو خيرٌ لنا ، والله سبحانه الخبير بما نعمل يكفّر عنّا سيئاتنا . وبقصد تسلية النّبىّ ﷺ يقرّر السّياق أنّه ﷺ ليس عليه هدى من يدعوهم إلى الإسلام لأنّ مهمّته عليه الصّلاة والسّلام تقف عند البلاغ ولا تتعدّاه ، والله تعالى يهدى من يشاء . إنّ ما ننفق من خير فلأنفسنا ، وعلينا ألا ننفق إلاّ ابتغاء وجه الله تعالى ، وإنّ ما ننفق من خيرٍ يوفّيه جلّ وعلا لنا ولا نُظْلم بحذف حسنة أو إضافة سيّئة . ويأتى على رأس الفقراء المهاجرون الّذين أحصرهم العدوّ فهم يجاهدون فى سبيل الله تعالى وهم على الثّغور لذا هم لا يستطيعون ضرباً فى الأرض ويحسبهم الجاهل بحالهم أنّهم أغنياء من التّعفّف . إنّ الألمعىّ يعرفهم بسيماهم وهم لا يسألون النّاس إلحافاً . إنّ هؤلاء وأمثالهم أولى الفقراء بالنّفقة وإنّ الله تعالى عليمٌ بما ننفق من خيرٍ . ويكون فى السّياق حثٌّ على الإنفاق باللّيل والنّهار سرّاً وعلانية ، ووعدٌ بالأجر من ربّنا جلّ وعلا وبالأمن فى الحياتين الأولى والآخرة ، فلا خوف فى الآخرة ولا حزن فى الدّنيا .

فإذا تحوّلنا إلى القسم التّالى وعنوانه : « تحريم الرّبا والحثّ على الصّدقة » ويشمل الآيات ٢٧٥ — ٢٨١ تبيّنّا تحريم القرآن الكريم للرّبا من ناحية والحثّ على إنفاق المال فى كلّ وجوه البرّ من ناحيةٍ أخرى . ويقرّر السّياق ابتداءً أنّ الّذين يأكلون الرّبا لا يقومون يوم القيامة من قبورهم إلاّ كما يقوم فى هذه الحياة الدّنيا الّذى يتخبّطه الشّيطان ويركله ويطوّح به بعد أن مسّ بيده ولمسه بجنون . وإنّما استحقّوا ذلك بسبب تعاملهم بالرّبا وبسبب قولهم إنّ البيع مثل الرّبا فعكسوا التّشبيه لفرط حبّهم للرّبا وحرصهم على الحصول على المال بكلّ وسيلة . ويقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى أحلّ البيع وحرّم الرّبا . وإنّ من جاءه موعظةٌ من ربّه وإنذارٌ فى القرآن الكريم بالكفّ عن التّعامل بالرّبا فانتهى فله ما سلف من ربًا تعامل به قبل أن ينزل الحكم بتحريمه وأمره إلى الله تعالى إن شاء ثبّته على المحجّة وإن

شاء خذله . إنّ من عاد إلى الرّبا أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون . ويقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى يمحق الرّبا بمعنى أنّه يذهب بركته ويُرْبى الصّدقات وينمّيها ، هذه هى حقيقة الرّبا نقصٌ فى الحقيقة . وهذه هى حقيقة الصّدقات زيادةٌ فى الحقيقة . والله سبحانه وتعالى لا يحبّ كلّ كفّار أثيم . ويتحوّل السّياق إلى المؤمنين كعادة القرآن الكريم فى التّحوّل من الشّىء إلى ضدّه ، فهؤلاء الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ، وأقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة لهم أجرهم عند ربّهم جلّ وعلا ولا خوفٌ عليهم فى الآخرة . ولا هم يحزنون فى الأولى حينما يتركونها لأنّ الآخرة خيرٌ لهم وأبقى . ويعود السّياق إلى تأكيد تحريم الرّبا بكلّ أنواعه بل إلى تأكيد تحريم بقاياه الّتى أنشئت قبل تحريمه ، فالرّبا الجديد حرام وبقايا الرّبا القديم حرام . إنّ السّياق يخاطب الّذين آمنوا فيأمرهم بأن يتّقوا الله تعالى وأن يتركوا ما بقى من الرّبا إن كانوا مؤمنين حقّا . فإن لم يفعل المسلمون ذلك فليعلموا بأنّ الله سبحانه وتعالى سيعلن الحرب عليهم وسيعلنها رسوله المصطفى ﷺ . إنّ الذّنب الوحيد الّذى أعلن الله تعالى وأعلن رسوله الكريم الحرب على مرتكبه هو الرّبا . أمّا إن تاب المسلمون وكفّوا عن الرّبا فإنّ لهم رءوس أموالهم لا يظلمون بأخذ زيادة على رأس المال ولا يُظْلمون بنقص شىءٍ من مالهم . وإنّ كان المدين ذا عسرة فالواجب فى نظر الإسلام على صاحب الدّين أن ينتظر المدين إلى ميسرة على أنّ ثمّة أفقاً أرحب ومستوىً أرفع يهدى إليهما القرآن الكريم الدّائن بأن يتصدّق على المدين فيتنازل عمّا تجود به نفسه من الدين ابتغاء وجه الله تعالى : ﴿ وأن تصدّقوا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ﴾ ويلى الحديث عن الدّين آخر آيةٍ نزلت من القرآن الكريم ، ويلاحظ أنّها تجىء إثر إرشاد الآية الكريمة السّابقة الدّائن إلى أفضل الأعمال تجاه المدين ممّا ينجم عنه إدخال البهجة والسّرور إلى قلب المسلم وحطّ الكرب ورفع الوزر عنه ولكلّ ذلك فعل السّحر فى تقوية الرّوابط بين المسلمين وفى تحقيق الأخوّة الإسلامية . والآية الكريمة الأخيرة فى القسم وفى النّزول تأمر المسلمين بأن يتّقوا يوم القيامة الّذى يرجع فيه الخلائق إلى الله تعالى ثمّ توفّى فيه كلّ نفس ما كسبت من خيرٍ أو شرّ وهم لا يُظْلمون بحذف حسنةٍ أو إضافة سيّئة .

فإذا تحوّلنا إلى القسم التّالى تبيّنّا أنّه الّذى يتألف من آيتين كريمتين ٢٨٢ ، ٢٨٣ فى

الدَّين ، وأولى آيتى الدّين الكريمتين أطول آى الذّكر الحكيم . ونستطيع بشأن آيتى الدّين أن نقول إن هدفهما الأكبر حفظ مال الدّائن بعد أن كان أكثر الحديث السّابق فى مجال المال عن آخذى الصّدقات والحسنات وعن المدينين . ومن أكبر الأدلّة على عناية الدّين الإسلامىّ بالأموال كون آية الدّين الأولى أطول آى الذّكر الحكيم . والآية الكريمة الأولى تخاطب الّذين آمنوا وتبيّن لهم أنّهم إذا تداينوا بدينٍ إلى وقتٍ معين عليهم أن يكتبوه ، وأن يكتب بينهم كاتبٌ بالعدل غير الدّائن . وعلى من علّمه الله تعالى الكتابة أن يكتب امتثالاً لأمر الله تعالى الّذى علّمه الكتابة فليكتب الكاتب وليملل الّذى عليه الدّين وليتّق الله ربّه جلّ وعلا ولا يبخس من الدّين شيئاً . فإن كان المدين سفيهاً غِرّاً ، أو ضعيفاً لكبرٍ أو صغر أو لا يستطيع أن يملّ لحُبْسةٍ أو مرض أو سفر إلى غير ذلك من صفات ، فليُمْلِل وليّه بالعدل . وعليكم أيّها المسلمون أن تستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكن الشّاهدان رجلين فرجلٌ وامرأتان لأجل أن تضلّ إحداهما فتذكّر إحداهما الأخرى . ولا يأب الشّهداء إذا ما دعوا لتحمّل الشهادة أو أدائها . ولا تملّوا أن تكتبوا الدّين صغيراً أو كبيراً إلى وقت سداده . إنّ ذلك الكتب أعدل عند الله وأقوم للشّهادة حين الحاجة لأدائها وأدنى ألاّ نرتاب ونخشى على أموالنا . ويستثنى السّياق التّجارة الحاضرة الّتى نديرها بيننا فليس ثمّة جناحٌ فى عدم كتابتها لعدم الحاجة إلى ذلك ولكثرة هذا النّوع من التّعامل كثرة مفرطة . وعلينا أن نُشْهِد إذا تبايعنا . وينهى السّياق عن إلحاق أدنى أذى بالكاتب والشّهيد ومن فعل ذلك فإنّه فاسق خارجٌ عن طاعة الله تعالى . ويأمر السّياق الّذين آمنوا بأن يتّقوا الله تعالى كى يعلّمنا الله تعالى ويهبنا العلم اللّدنّىّ وهو بكلّ شىءٍ عليم جلّ وعلا . والآية التّالية تتحدّث عن إجراء الدّين حال السّفر ومتعلّقات ذلك فتبيّن أنّا إذا كنّا فى سفر و لم نجد كاتباً فليكن بدل الكتابة رهانٌ مقبوضة يتسلمها الدّائن ضماناً لحقّه . فإنْ أمن بعضنا بعضاً وأمن الدّائن المدين فعلى المدين الّذى ائتمنه الدّائن أن يؤدّى للدّائن الّذى ائتمنه أمانته ، وأن يتّقى الله ربّه جلّ وعلا . وينهى السّياق الشّهداء عن كتمان الشّهادة ، ويقرّر أنّ من يكتمها فإنّه آثمٌ قلبه . والله بما نعلم عليم .

فإذا تحوّلنا إلى القسم الأخير من سورة البقرة الكريمة وعنوانه : « خواتيم سورة البقرة » ويشمل الآيات ٢٨٤ ــ ٢٨٦ تبيّنا أنّه يمثّل الثّمرة اليانعة الناضجة الّتى يجمل بأتباع محمّد ﷺ الّذى أنزل الله تعالى عليه سورة البقرة كبرى سور القرآن الكريم أن يقطفوها يانعةً شهيّة فها هو ذا مسلم فى صحيحه يبين أنّ المصطفى ﷺ سمع صوتاً من السّماء بينما جبريل عليه السّلام قاعدٌ عنده وكان ذلك صوت ملك بيّن النّبىّ ﷺ أنّه لم ينزل قطّ إلاّ ذلك اليوم فسلّم وقال : أبشر يا محمّد بنورين لم يؤتهما نبىٌّ قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة . لن تقرأ بحرفٍ منها إلاّ أعطيته . والآية الكريمة الأولى تقرّر أنّ لله سبحانه وتعالى ما فى السّماوات والأرض ملكاً وخلقاً وعبيداً وإن أبدينا ما فى أنفسنا أو أخفيناه فإنّ الله تعالى محاسبنا فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء . والله تعالى على كل شىءٍ قدير . وبعد الحديث عمّا يتعلّق بالذّات العليّة كان ثمّة تحوّلٌ إلى المصطفى ﷺ خير البريّة والمؤمنين من أتباعه عليه الصّلاة والسّلام . فتقرّر الآية الكريمة الثّانية أنّ الرّسول ﷺ قد آمن بما أنزل إليه من ربّه وكذلك المؤمنون . إنّ كلاًّ قد آمن بالله تعالى وملائكته ابتداءً بجبريل عليه السّلام أمين الله على وحيه وكتبه ابتداءً بالقرآن الكريم آخر الكتب السّماويّة وأشرفها ورسله ابتداءً بمحمّد بن عبد الله ﷺ خاتم النّبيّين وقائد الغرّ المحجّلين ، وتلقّن الأمّة الإسلامية القول : ﴿ لا نفرق بين أحدٍ من رسله ﴾ وبذلك اختلفوا عن اليهود والنّصارى الّذين يؤمنون ببعض الرّسل ويكفرون ببعض ، يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ﴿ قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير ﴾ إنّ المؤمنين قالوا سمعنا وأطعنا كما لقّنهم المصطفى ﷺ لأنّ طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله تعالى خاصّةً حينما فهموا من قوله تعالى : ﴿ وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ فظنّوا أنّهم مؤاخذون على خطرات القلب ووساوس النفس . وهم يسألون الله سبحانه وتعالى غفرانه لأنّ مصيرهم إليه يوم القيامة اليوم المجموع له النّاس المشهود . وفى الآية الكريمة الأخيرة من القسم ومن السّورة الكريمة تأتى ثمرة طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ حينما أمرهم عليه الصّلاة والسّلام أن يقولوا سمعنا وأطعنا . وها هو ذا التّخصيص للحكم يأتى بعد تعميم المؤاخذة فيجىء القول : ﴿ لا يكلف الله نفساً

إلا وسعها ﴾ وبذلك سقطت خطرات القلب ووساوس النّفس لأنّ الإنسان ليس له سلطةٌ على ذلك . وانظر إلى لفظة الوسع الّتى تجىء فى الآية الكريمة الدّالّة على رحمة الله تعالى بعباده فالله سبحانه وتعالى لا يكلّف نفساً إلاّ وسعها وهو ما تتّسع له ويبقى لديها بقيّةٌ من استطاعة ولا يجىء فى السّياق لفظ الطّاقة الّذى يستنفد بطبيعته كامل قدرة المكلّف . وانظر إلى اختلاف التّعبير القول : ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ إنّ الجارّ والمجرور : « لها » يجىء مع الحسنات وكذلك جملة : « كسبت » الّتى تدلّ على طبيعة الكسب السّهلة ، وتلك طبيعة الأعمال الّتى أمر بها الشّرع . وإنّ الجارّ والمجرور « عليها » يجىء مع السّيّئات وكذلك جملة : « اكتسبت » الّتى تدلّ على المجهود الّذى يبذله مرتكب الذّنب فى سبيل ارتكابه ابتداءً بقربه من حدود الحمى المنهىّ عن الاقتراب منه بل اعتدائه على حدود الله تعالى وحرماته وفى ذلك من المجهود الهائل والجراءة على الله تعالى وعلى رسوله الكريم ﷺ ما فيه . ثمّ تأتى سلسلة الدّعوات المباركات الّتى يلقّننا ربّ العزّة إيّاها ، واللّطيف أنّها تتألّف من مجموعتين تتألّف كلٌّ من ثلاث حبّات ، واللّطيف أنّ كلّ حبّة تبنى على الحبّة الّتى تقابلها فالحبّة الرّابعة : ﴿ واعف عنّا ﴾ ثمرة الحبّة الأولى : ﴿ ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ فبما أنّ الله سبحانه وتعالى قد رفع عن أمّة محمّد الخطأ والنّسيان فذلك معناه أنّهم غير مؤاخذين عليهما بمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى قد عفا عنّا بمعنى ترك مؤاخذتنا . والحبّة الخامسة : ﴿ واغفر لنا ﴾ ثمرة الحبّة الثّانية : ﴿ ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الّذين من قبلنا ﴾ فحينما لا يحمل الله سبحانه وتعالى على أمّة محمّد ﷺ الإصر الّذى حمله على اليهود والنّصارى والثّقل الّذى حطّه عليهما بل حطّ عنهم ذلك وإنّ من آثار عدم حمل الإصر عليهم المغفرة.والحبّة السّادسة : ﴿ وارحمنا ﴾ ثمرة الحبّة الثّالثة : ﴿ ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به ﴾ إنّ الله سبحانه وتعالى يرشدنا إلى سؤاله ألاّ يحمّلنا ما لا طاقة لنا به ، وقد عرفنا معنى الطّاقة والفرق بينها وبين الوسع ، وذلك مرشّحٌ لإعلان الرّحمة المفهومة ضمنًا من دعاء عدم تحميلنا ما لا طاقة لنا به ، والثّمرة اليانعة لاستجابة الله تعالى كلّ الدّعوات الخمس السّابقة . وتختم الآية الكريمة بل السّورة الكريمة بالدّعاء : ﴿ أنت مولانا فانصرنا على

القوم الكافرين ﴾ إنّ الله سبحانه وتعالى هو متولى أمور المؤمنين ومن تولاّه الله تعالى نصره ، فالله تعالى نعم المولى ونعم النّصير .

وفى الإمكان أن يعقد المتأمل لسورة البقرة مقارنةً بين الآيات الخمس الأول الّتى تضع معالم المنهج الإسلاميّ وبين الآيات الكريمات خواتيم البقرة كى يتبيّن فى هذه الآيات الكريمات الثّمرة اليانعة النّاضجة الشهيّة لتطبيق معالم المنهج . إنّ فى بداية السّورة معالم الطّريق وإنّ فى نهاية السّورة مسك الختام . ولله الحمد والمنّة .

وصلّى الله وسلم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين .

كتبه الفقير إلى عفو ربّه

د. حسن محمّد باجودة

يوم الجمعة ١٤٠٩/١/٧ هـ

الموافق ١٩٨٨/٨/١٩م

فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات

الموضوع	الآيات	الصفحة
المقدّمة		٥
تمهيد		٨
[١] الكتاب المعجز هدًى للمتّقين	١ — ٥	١٤
[٢] الّذين كفروا	٦ ، ٧	٤٤
[٣] المنافقون	٨ — ٢٠	٧١
[٤] توحيد الله تعالى والتّحدّى بالقرآن وثواب المؤمنين وعقاب الكافرين	٢١ — ٢٧	١٦٥
[٥] الخلق والبعث والجزاء	٢٨ — ٣٩	٢٢٩
[٦] بنو إسرائيل	٤٠ — ١٢٣	٢٧٦
الجزء الثانى		
[٧] إبراهيم عليه السّلام المسلم لله ربّ العالمين	١٢٤ — ١٤١	٧٠٩
[٨] القبلة ومتعلّقاتها	١٤٢ — ١٦٤	٧٩٣
[٩] كافرون ومؤمنون	١٦٥ — ١٧٧	٩٠٩
[١٠] القصاص والوصيّة	١٧٨ — ١٨٢	٩٧٦
[١١] صوم رمضان	١٨٣ — ١٨٨	٩٩٨
[١٢] الحجّ إلى بيت الله الحرام	١٨٩ — ٢٠٣	١٠٦٢
[١٣] مؤمنون ومنافقون وكافرون	٢٠٤ — ٢١٤	١١٦١
الجزء الثالث		
[١٤] يسألونك وبعض أحوال الزّواج	٢١٥ — ٢٤٢	١٢١٧
[١٥] بنو إسرائيل الحريصون على حياة	٢٤٣ — ٢٥٢	١٤٤١
[١٦] تفضيل الله تعالى بعض الرّسل والدّعوة إلى التوحيد والأدلّة على البعث	٢٥٣ — ٢٦٠	١٥٠٢
[١٧] الحثّ على الإنفاق فى سبيل الله تعالى وشروطه وثوابه	٢٦١ — ٢٧٤	١٥٩٦

الموضـوع	الآيات	الصفحة
[١٨] تحريم الرّبا والحثّ على الصّدقة	٢٧٥ ـ ٢٨١	١٦٩٨
[١٩] الـدَّين	٢٨٢ ـ ٢٨٣	١٧٣٢
[٢٠] خواتيم سورة البقرة	٢٨٤ ـ ٢٨٦	١٧٧٨
الخاتمـة		**١٨١٩**
فهرست الموضوعات		**١٨٧٦**
فهرست المصادر والمراجع		**١٨٧٩**

★ ★ ★

فهرست المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير (عزّ الدّين أبو الحسن على بن أبى الكرم) الكامل فى التّاريخ بيروت ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م

ابن الأسلت (أبو قيس صيفيّ) الدّيوان . دراسة جمع تحقيق د. حسن محمّد باجوده . دار التّراث . القاهرة ١٩٧٣ م

ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم) الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر . تحقيق د. صلاح الدّين المنجدّ . دار الكتاب الجديد بيروت لبنان ١٩٧٦ م ـــ ١٣٩٦ هـ الرّسالة التّدمريّة. القاهرة ١٣٨٧ هـ نشرها قصيّ محبّ الدّين الخطيب . مجموع فتاوى ابن تيمية . الرّباط . المغرب . الطّبعة الثّانية ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرّحمن) صيد الخاطر . تصوير المكتبة السّلفية بالمدينة المنوّرة . ١٣٤٥ هـ

ابن حجر (الحافظ أحمد بن على بن محمّد العسقلانى) الإصابة فى تمييز الصّحابة . دار الفكر . بيروت . ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م فتح البارى بشرح صحيح البخارى . تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ومحمّد فؤاد عبد الباق ، ومحبّ الدّين الخطيب . المكتبة السّلفيّة بالمدينة المنوّرة .

ابن حجر (أوس) الدّيوان . تحقيق وشرح د. محمّد يوسف نجم . بيروت ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠م

ابن سلاّم (محمّد سلاّم الجمحيّ) طبقات فحول الشّعراء . شرح محمود محمّد شاكر . ذخائر العرب ٧ القاهرة ١٩٧٤ م .

ابن عقيل (بهاء الدّين عبد الله بن عقيل) شرح ألفية ابن مالك . تحقيق محمّد محى الدّين عبد الحميد . الطّبعة التّاسعة ١٣٧٥ هـ-١٩٥٦م

ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا) الصّاحبىّ فى فقه اللّغة . تحقيق السّيّد أحمد صقر القاهرة ١٩٧٧ م مقاييس اللّغة . تحقيق وضبط عبد السّلام محمّد هارون . القاهرة . الطّبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م

ابن القيّم (أبو عبد الله محمّد بن أبى بكر) أمثال القرآن . تحقيق د . ناصر بن سعد الرّشيد . دار مكّة للطّباعة والنّشر . الطّبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م . التّفسير القيّم . جمعه محمّد أويس النّدوى . وحققه محمّد حامد الفقى . دار الكتب العلميّة . بيروت لبنان ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨م .

زاد المعاد . مصطفى البابى الحلبى . مصر ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م

طريق الهجرتين وباب السّعادتين . دار الكتاب العربىّ بيروت . بدون تاريخ .

ابن كثير (عماد الدّين أبو الفدا إسماعيل بن كثير) البداية والنّهاية . دار الفكر . بيروت . الطّبعة الثّانية ١٩٧٧ م تفسير ابن كثير . دار إحياء التّراث العربىّ بيروت . ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ م

ابن منظور (جمال الدّين محمّد بن مكرم) لسان العرب . بيروت ، ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م

ابن هشام (أبو محمّد عبد الله بن هشام الأنصارىّ) أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك شرح محمّد محى الدّين عبد الحميد . دار الفكر . بيروت لبنان الطّبعة السّادسة ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م .

ابن هشام (أبو محمّد عبد الملك) السّيرة النّبويّة . تحقيق مصطفى السّقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى . دار إحياء التّراث العربىّ .

بيروت لبنان ١٩٨٥ م وتحقيق محمّد محي الدّين عبد الحميد .
دار الفكر . بدون تاريخ .

أبو تمّام — ديوان الحماسة شرح المرزوقى نشره أحمد أمين وعبد السّلام محمّد هارون . مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر ١٣٧١ هـ ١٩٥١ م

أبو حيّان — (محمّد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيّان) البحر المحيط بيروت . . أوفست . بيروت . بدون تاريخ .

أبو الفرج — (علىّ بن الحسين الأصفهانى) الأغانى دار الكتب .

أحيحة — (بن الجُلاح الأوسىّ الجاهلىّ) الدّيوان . دراسة جمع تحقيق د. حسن محمّد باجودة . مطبوعات نادى الطّائف الأدبىّ .

الأخفش — (أبو الحسن سعيد بن مسعدة) معانى القرآن . تحقيق د . فائز فارس . الكويت ١٩٧٩ م

الأصفهانى — (أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالرّاغب الأصفهانى) المفردات فى غريب القرآن . تحقيق محمّد سيّد الكيلانى . دار المعرفة . بيروت . لبنان . بدون تاريخ .

امرؤ القيس — الدّيوان تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم . ذخائر العرب ٢٤ مصر ١٩٥٨ م

الأنبارى — (أبو البركات عبد الرّحمن بن محمّد بن أبى سعيد) أسرار العربيّة تحقيق محمّد بهجة البيطار . مطبوعات المجمع العلمىّ العربىّ بدمشق . دمشق . ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ م

الأنصارى — (عبد القدّوس) آثار المدينة المنوّرة . الطّبعة الثّالثة بيروت ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م

باجودة — (حسن محمّد) تأملات فى سورة الأحزاب مكّة المكرّمة ١٤٠٣ هـ تأمّلات فى سورة الإسراء القاهرة ١٩٧٨ تأمّلات فى سورة الحاقّة القاهرة ١٩٧٧ م تأمّلات فى سورة الرّعد القاهرة ١٩٧٩ م تأملات

فى سورة الفرقان القاهرة ١٩٧٧ م تأمّلات فى سورة محمّد ﷺ القاهرة ١٩٨٠ م التّفسير البسيط للقرآن الكريم . منشورات الأمانة العامّة لمسابقة القرآن الكريم الدّوليّة . وزارة الحجّ والأوقاف بالمملكة العربيّة السّعوديّة .

الباقلاّنى (أبو بكر محمّد بن الطيّب) إعجاز القرآن . تحقيق السّيّد صقر . الطّبعة الرّابعة . ذخائر العرب ١٢ دار المعارف بمصر .

البخارى (أبو الطّيّب صدّيق بن حسن بن على الحسينى الصنّوجى) عون البارى لحلّ أدلّة صحيح البخارى . قطر ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

البخارى (الإمام أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم) الصّحيح . كتاب الشّعب ١٣٧٨ هـ

بشّار (بن برد) الدّيوان تحقيق محمّد الطّاهر بن عاشور . لجنة التأليف والتّرجمة والنّشر . القاهرة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م

البنّا (حسن) الله فى العقيدة الإسلاميّة . بيروت ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م

الثّعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل) فقه اللّغة وسرّ العربية . تحقيق مصطفى السّقّا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى . مصطفى البابى الحلبى . القاهرة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م .

الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) الحيوان تحقيق عبد السّلام محمّد هارون مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٦ هـ ١٩٣٨ م

الجرجانى (الشّريف على بن محمّد بن على الحسينى) الحاشية على الكشّاف . مصطفى البابى الحلبى . القاهرة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م

الخضرى (محمّد) نور اليقين فى سيرة سيّد المرسلين . الطّبعة الثّانية . دار المعارف للطّباعة . بدون تاريخ .

الدّهلوى (أحمد بن عبد الرّحيم) حجّة الله البالغة . دار المعرفة . بيروت لبنان . بدون تاريخ .

الـرّمّاني (أبو الحسن عليّ بن عيسى) النّكت في إعجاز القرآن . ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّمّانيّ والخطّابيّ وعبد القاهر الجرجانيّ . تحقيق محمّد خلف الله ومحمّد زغلول سلام ذخائر العرب ١٦

الزّبيـدي (السّيّد محمّد مرتضى) تـاج العروس . الطّبعـة الأولى . مصر ١٣٠٦ هـ ١٣٠٧ هـ .

الـزّركلي (خير الدّين) الأعلام . الطّبعة الخامسة . دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٠ م .

الزّمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر) الكشّاف . مصطفى البابي الحلبي . القاهرة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م

ســابق (السّيّد) فقه السّنّة الطّبعة الأولى بيروت ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م

السّـباعي (مصـطفى) السّيرة النّبويّة دروسٌ وعبر . مطبوعات المكتب الإسلامي . دمشق وبيروت ١٤٠٠ هـ من روائع حضارتنا مطبوعات المكتب الإسلامي دمشق وبيروت .

السّـقّا (مصـطفى) مختار الشّعر الجاهليّ (تحقيق) الطّبعة الثّانية ١٣٦٨ هـ ١٩٤٨ م .

السّـهيلي (أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله) الرّوض الأنف القاهرة ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م

السّيوطي (جلال الدّين عبد الرّحمن) الإتقان في علوم القرآن تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم . الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ١٩٧٤ م تفسير الجلالين .

صحيفة عكاظ عدد (٧٥٠٨) ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ ١٧ يناير ١٩٨٧ م

الطّـبري (أبو جعفر محمّد بن جرير) جامع البيّان في تفسير القرآن . الطّبعة الأولى بولاق ١٣٢٩ هـ

العسكرى (أبو هلال) الفروق اللّغويّة دار الكتب العلميّة . بيروت لبنان ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

عياض (القاضى أبو الفضل) الشّفا بتعريف حقوق المصطفى . تصوير بيروت عن المكتبة التّجاريّة الكبرى بمصر بدون تاريخ .

الفرّاء (أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء) معانى القرآن . تصوير عالم الكتب بيروت والهيئة المصريّة العامّة للكتاب الطّبعة الثّانية ١٩٨٠ م

الفيروزابادى (مجد الدّين محمّد بن يعقوب) القاموس المحيط

قرطبى (أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصارى) الجامع لأحكام القرآن . دار الشّعب القاهرة .

مؤنس (حسين) الإسلام الفاتح . العدد الرّابع من سلسلة دعوة الحقّ الشّهرية الّتى تصدرها رابطة العالم الإسلامى بمكّة المكرّمة .

المتنبىّ شرح ديوانه للعكبرى الطّبعة الثّانية ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م

مجلّة رابطة العالم الإسلامىّ عدد ٢٦٢ السّنة ٢٥ جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ يناير ١٩٨٧ م

مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجّاج) الصّحيح شرح الإمام النّووى القاهرة ١٣٤٩ هـ

المودودى (أبو الأعلى) رسالة شهادة الحقّ . دار الفكر بدون تاريخ .

النّدوى (أبو الحسن على الحسنى) الأركان الأربعة الطّبعة الثّالثة . ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م دار الفكر الكويت . السّيرة النّبويّة الطّبعة الأولى دار الشّروق ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م الصّراع بين الفكرة الإسلاميّة والفكرة الغربيّة . الطّبعة الثّالثة . دار الأنصار بالقاهرة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م

النّووى (يحيى بن شرف) رياض الصّالحين تصوير بيروت بدون تاريخ . متن الأربعين النّوويّة ألمانيا الغربيّة ١٩٧٦ م .

النّيسابورى (أبو الحسن على بن أحمد الواحدى) أسباب النّزول . دار الكتب العلميّة . بيروت لبنان ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م

الهاشمى (السّيّد أحمد)القواعد الأساسيّة للّغة العربيّة . دار الكتب العلميّة بيروت لبنان بدون تاريخ .

ياقوت (شهاب الدّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى) معجم البلدان بيروت ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥) .